

مهمة رسمية



د. نبيل فاروق



نبيل فاروق

مهمة رسمية

(سلسلة العقرب 5)





عندما يعجز القانون البشري عن القصاص..

عندما تحيطُ العدالة عينيها بعصابةٍ سميكةٍ..

حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..

عندئذ ينهض هو للقتال، حاملًا ذلك الاسم، الذي يثيرُ الرجفةَ في قلوب أعتى المجرمين..

اسم (العقرب)

-١-

زيارة مفاجئة

من المؤكد أن (غادة)، زميلة (نديم فوزي)، في مكتب المحاماة، لم تشهد زحامًا، في منطقة وسط المدينة، مثلما شهدته في ذلك الصباح الحار، وهي تدور بسيارتها، وتدور، وتدور، بحثًا عن موقع واحد للانتظار..

ولقد استغرق منها هذا الأمر نصف ساعة كاملة، قبل أن تجد مكانًا منزويًا لسيارتها، واحتاجت إلى عشر دقائق كاملة، لتصل إليه وتغادر سيارتها، هاتفة في حنق:

- يا إلهي! ماذا يريدون منا بالضبط؟! أن نتحول إلى بهلوانات؟!

ضحك منادي السيارات القريب لعبارتها، وعلق في سخرية:

- أمر طبيعي يا سيدتي.. البهلوان وحده يمكنه قيادة سيارته في وسط المدينة.

زفرت مغمغمة:

- الواقع أن الازدحام قد بلغ حدًّا غير محتمل.. لا بد من وجود حلٍّ له، قبل أن يأتي يوم، لا نجد فيه موضعًا لقدم.

ابتسم الرجل، قائلًا:

- اطمئني يا سيدتي.. أعتقد أن المشكلة ستجد حلًّا جذريًّا، خلال عام واحد على الأكثر.

ابتسمت ساخرة، وهي تغلق سيارتها، قائلة:

- يا لك من متفائل!

هز كتفيه، قائلًا:

- ليس للأمر علاقة بالتفاؤل.. إنهم ينشئون هنا جراجًا متعدد الطوابق بالفعل، يمكنه استيعاب ما يقرب من ثلاثين ألف سيارة.

ارتفع حاجباها في دهشة، وهي تهتف:

- هنا.. في وسط المدينة؟!

أشار بيده إلى منطقة قريبة، قائلًا:

- نعم يا سيدتي.. هل ترين ذلك المبنى ذا الطابقين هناك؟ المبنى القديم الطراز.. إنهم يبدؤون في هدمه بالفعل، وعلى مساحة أرضه الضخمة، سيقيمون مبنى من ثلاثين طابقًا.. بالإضافة إلى ثلاثة طوابق تحت أرضية، وسيتم استغلال تلك الطوابق الثلاثة، بالإضافة إلى أربعة من طوابق المبنى، كجراج متعدد الطوابق، أما الطوابق الباقية، باستثناء معظم الطابق الأرضي، فستحتلها شركات ومؤسسات خاصة شهيرة.

سألته في اهتمام:

- وماذا عن الطابق الأرضي؟!

بدا متهللًا على نحو أدهشها، وهو يلوح بذراعيه، مجيبًا:

- هذه هي المفاجأة.. إنهم سينشئون هنا مجمعًا تجاريًا

عملاقًا، يمكنك أن تجدي فيه كل شيء.. من الإبرة إلى الصاروخ.

ارتفع حاجباها بدهشة، وهي تحدّق فيه بحيرة تمتزج بالشك والتساؤل.. تُرى كم تبلغ تكلفة مشروع عملاق كهذا؟!

كم؟!

كم؟!

«نصف مليار جنيه على الأقل»

نطق (نديم) الجواب في هدوء ورصانة كعادته، وهو يجلس خلف مكتبه الأنيق، عندما روت له الأمر كله، فارتفع حاجباها بدهشة كبيرة، وهي تهتف مستنكرة:

- نصف مليار جنيه؟! يا إلهي! ومن يمتلك مثل هذه الثروة الهائلة؟

شبك أصابع كفيه أمامه وهو يجيب بنفس الهدوء:

- ربما هم مجموعة من المستثمرين.

هتفت بنفس الدهشة:

- وكم سيربحون من مشروع كهذا؟!

صمت بضع لحظات، وهو يتطلع إليها بملامح جامدة خاوية، قبل أن يجيب في بطء يوحي بتفكير عميق:

- ربما لا يعنيهم هذا كثيرًا.

أدهشها الجواب، فحدقت فيه بدهشة، مغمغمة:

- ماذا تعني يا (نديم)؟!

أتاهما صوت هادئ رصين وقور، يجيب:

- أنَّه يشير إلى عملية غسيل الأموال القذرة يا بنيتي.

التفتت (غادة) في دهشة مستنكرة إلى مصدر الصوت، في حين نهض (نديم) من خلف مكتبه، وهو يبتسم في هدوء

قائلًا:

- مرحبًا يا سيادة اللواء.. كم تدهشنا وتسعدنا زيارتك المفاجئة هذه.

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتي اللواء (حلمي)، وهو يلوح بملف صغير في يده، ويهز كتفيه، قائلًا:

- معذرة لدخولي بهذا الأسلوب، الذي يفتقر إلى اللياقة، ولكن عم (أحمد) لم يكن هنا، وأنا في عجلة من أمري، و....

قاطعه (نديم)، وهو يتجه إليه، ويصافحه في حرارة حقيقية:

- أنت على الرحب والسعة دومًا يا سيادة اللواء.

وابتسمت (غادة)، في محاولة لإخفاء توترها، وهي تغمغم:

- بالتأكيد..

واصل اللواء (حلمي) ابتسامته الباهتة، وهو يتجه إلى

مقعد قريب، قائلًا:

- الواقع أنني كنت في الجوار، ورأيت أن أزوركما بعض الوقت.

ربت (نديم) على ركبته، قائلًا بابتسامة ودودة:

- أهلًا بك في أي وقت يا سيادة اللواء.

اكتسبت ابتسامة اللواء (حلمي) بعض الحرارة، وقال، وهو يضع الملف على مكتب (نديم):

- الحقيقة أن رؤيتك تسعدني دومًا يا (نديم)، فأنت واحد من أفضل تلاميذي، وأكثرهم كفاءة وبراعة.

قالت (غادة)، في شيء من الحذر:

- كان هذا فيما مضى يا سيادة اللواء.

ابتسم اللواء (حلمي) ابتسامة كبيرة، قائلًا:

- ربما اختلفت الوسائل والمسميات، ولكن الهدف ما زال واحدًا يا بنيتي.

وأدار عينيه مرة أخرى إلى (نديم)، مستطردًا:

- أليس كذلك؟!

ابتسم (نديم) وتراجع في مقعده، قائلًا:

- بالتأكيد.

رمقت (غادة) (نديم) بنظرة جانبية دون تعليق، وتراجعت في مقعدها بدورها وعقدت ساعديها أمام صدرها، في انتظار الخطوة التالية..

ولم يطل انتظارها، فما أن ساد السكون لحظة، حتى تنحنح اللواء (حلمي)، واعتدل في مقعده، قائلًا:

- الواقع أن هناك قضية تقلقنا بشدة، في الآونة الأخيرة.

سأله (نديم) في اهتمام:

- أية قضية؟!

هز اللواء (حلمي) كتفيه، قائلًا:

- نفس ما كنتما تتحدثان حوله الآن .. قضية غسيل الأموال القذرة.

وتنحنح مرة أخرى، قبل أن يتابع:

- من العجيب أن هذا الأمر قد انتشر على نحو مخيف، في السنوات العشر الأخيرة، وخاصة مع تكثيف الحملات ضد تجار ومهربي المخدرات، ومحاصرة مزوري العملة، وتشديد الرقابة على الحدود، والمشكلة أنَّه ليست لدينا قوانين للرقابة على إيرادات البنوك، مثل تلك المطبقة في الولايات المتحدة الأمريكية مثلًا، والتي تحظر إيداع مبلغ يزيد على عشرة آلاف دولار، دون تحديد مصدره بدقة، مما أحدث فوضى في الإيداعات، أدت إلى ظهور عدد مفاجئ من المليونيرات ورجال الأعمال، أنشأوا عشرات المشروعات العملاقة، دون تحديد مصادر ثرواتهم.

غمغم (نديم):

- أمر مخيف بحق يا سيادة اللواء.

تنهَّد اللواء (حلمي)، وقال:

- نحن لا نستطيع بالطبع ملاحقة كل هؤلاء، ومراقبتهم، لكشف حقيقة نشاطاتهم، وما من وكيل نيابة سيسمح بالتصنت على محادثاتهم الهاتفية، أو تسجيل اجتماعاتهم؛ لأن..

صمت لحظة، قبل أن يتطلع إلى عين (نديم) مباشرة مضيفًا:

- لأن القانون يحظر هذا.

ارتفع حاجبا (غادة) في دهشة، وخيل إليها أنَّها قد فهمت ما يرمي إليه اللواء (حلمي)، في حين ابتسم (نديم) بنفس الرصانة، قائلًا:

- بالتأكيد.

تنهَّد اللواء (حلمي) على نحو يوحي بأنَّه يحمل في أعماقه كل هموم الدنيا، قبل أن يشير بيده، متسائلًا في شيء من الحذر:

- هل تعرف اسم (رشاد السلباوي) يا (نديم)؟!

بدا الاسم مألوفًا لـ(غادة)، فانعقد حاجباها في شدة، وهي تعتصر ذهنها لتتذكر أين سمعته أو قرأته، أما (نديم)، فقد أجاب بهدوء عجيب:

- بالطبع.. (رشاد السلباوي) اسم يتردد كثيرًا، في الآونة الأخيرة، فهو رجل أعمال، أقام في الولايات المتحدة الأمريكية لربع قرن تقريبًا، ثم عاد إلى (مصر)، ليقيم عددًا من المشروعات الضخمة، مثل القرى السياحية في الساحل الشمالي، وساحل البحر الأحمر وشركات الاتصالات، والمراكز التجارية العملاقة، وأضاف:

- وهو صاحب ذلك المبنى، الذي يضم جراجًا متعدد الطوابق، على مقربة من هنا.

هتفت (غادة):

- هو صاحبه؟! آه تذكرت الآن أين قرأت الاسم.. كان مكتوبًا على لافتة كبيرة، معلقة على المبنى الذي يتم هدمه.

لم يعلق اللواء (حلمي) على عبارتها، وإنما تنهَّد مرة أخرى، تلك التنهيدة الملتهبة، فمال (نديم) وحده، وسأله على نحو مباشر:

- ما الذي يقلقكم بشأن (رشاد السلباوي) يا سيادة اللواء؟!

هزَّ اللواء (حلمي) رأسه، قائلًا:

- الرجل سليم ونظيف، من الناحية القانونية، ومشروعاته كلها مقامة بإجراءات وأوراق سليمة، ولكن..

توقف عند هذه النقطة، وبدا عليه توتر أكثر، جعل (نديم) يسأله في بطء:

- ولكن ماذا؟!

لوَّح اللواء (حلمي) بذراعه، وكأنَّما يشعر بالحيرة، قبل أن يضيف:

- إنَّنا لا نعرف شيئًا عن مصدر ثروته الضخمة هذه، فقد عاد من الولايات المتحدة الأمريكية، ليفتح حسابًا في أحد البنوك، بربع مليون دولار فحسب، وبعدها وصلته ملايين الدولارات، عن طريق تحويلات بنكية مباشرة، من دول (أمريكا اللاتينية)، التي لا توجد بها تشريعات لتقنين الإيداع النقدي بالبنوك.

غمغم (نديم):

- هذا قانوني تمامًا.

أشار إليه اللواء (حلمي)، قائلًا:

- بالضبط.. والمثير للانتباه والاهتمام، هو أن المبالغ التي وصلته، والتي لا تتجاوز ستة ملايين من الدولارات، كانت آخر ما وصله من تحويلات؛ إذ أصدرت تلك الدول، في (أمريكا اللاتينية) تشريعات جديدة، جعلت تحويل مثل هذه المبالغ الضخمة أمرًا مستحيلًا، وعلى الرغم من هذا، فقد بدأ في إقامة مشروعات عملاقة، تتكلف عشرات الملايين من الدولارات، بما يفوق مركزه المالي عدة مرات.

سأله (نديم) في اهتمام:

- ولماذا لم يتم سؤاله عن مصدر أمواله؟!

تنهَّد اللواء (حلمي)، قائلًا:

- الرجل له نشاط اجتماعي وسياسي كبير، وصلاته بعدد من كبار المسئولين، تضفي عليه نوعًا من الحصانة غير الرسمية، بحيث لا يمكننا توجيه أية اتهامات إليه، دون أدلة قوية حاسمة، لا تقبل الشك.

ثم تراجع على مقعده، ورمق (نديم) بنظرة جانبية، مضيفًا:

- ولا يمكننا أن نحصل على تلك الأدلة، بشكل قانوني محض.

تراجع (نديم) بدوره، وهو يقول في بطءٍ وحذر:

- يمكنني استيعاب هذا.

نقلت (غادة) بصرها بينهما في دهشة عارمة، وهي

تتساءل: ما الذي يحدث بالضبط؟!

ما الذي يحاول اللواء (حلمي) إبلاغه لـ(نديم)؟!

تُرى هل........................؟

قبل أن يكتمل التساؤل في أعماقها، كان (نديم) يسأل في اهتمام:

- أهذه نقطة الشك الوحيدة؟!

هزَّ اللواء (حلمي) رأسه نفيًا، وهو يجيب:

- كلا.. هناك أيضًا تلك الأموال الطائلة، التي يقوم (رشاد السلباوي) بتحويلها إلى حساب شركته، في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي شركة بدأت صغيرة بسيطة، ثم لم تلبث أن تحولت، بفضل تحويلاته الضخمة، إلى شركة من أكبر شركات (لوس أنجلوس).

غمغم (نديم)، وكأنَّه يحدث نفسه:

- والأموال التي يتم تحويلها من هنا، هي بالنسبة للقانون الأمريكي، واردة من مصدر معلوم، ولا جناح على إيداعها هناك.

هتف اللواء (حلمي):

- بالضبط.

ثم نهض من مقعده، ودار حول مكتب (نديم)، وهو يضيف:

- إنَّها باختصار، عملية تهدم اقتصاد (مصر) كله، وأمنها وسلامتها على المدى الطويل، ولكنها لعبة تتم على نحو قانوني ماكر، بحيث نعجز نحن، كجهاز أمن رسمي، عن التصدي لها، ولكن..

امتدت يده في هدوء نحو جزء خفي من الجدار، خلف مكتب (نديم) مباشرة، وضغطه في رفق، وهو يوليه ظهره مكملًا:

- ربما كان هناك مَن يمكنه السعي وراء العدالة، دون التقيد بكل تعقيدات القانون.

كاد قلب (غادة) يقع بين قدميها، عندما انكشفت تلك الفجوة في الجدار، إثر ضغطة اللواء (حلمي)، ليظهر خلفها زي أسود اللون، مع قناع من اللون نفسه، لم يلق عليهما اللواء (حلمي) نظرة واحدة، وهو يبتسم مكررًا:

- ربما.

قالها وغادر المكتب بخطوات ثابتة قوية، دون أن يحاول الالتفات إلى زي (العقرب) لحظة واحدة، في حين حبست (غادة) أنفاسها بقوة، حتى أغلق الباب خلفه، فهتفت في ذعر:

- رباه! إنَّه يعرف كل شيء.

ارتسمت ابتسامة على شفتي (نديم)، وهو يقول:

- بالتأكيد.

نطقها، ثم التفت إلى ذلك الملف، الذي تركه اللواء (حلمي) عمدًا على سطح مكتبه، وفتحه ليلقي نظرة على محتوياته، قبل أن تتسع ابتسامته في ثقة وارتياح..

فالملف كان يضم كل المعلومات عن الهدف الجديد..

عن (رشاد)..

(رشاد السلباوي)..

***

-٢-

عودة (العقرب)

«كل شيء قانوني تمامًا..»

نطق (إدوارد)، محامي (رشاد السلباوي) العبارة في خبث، وهو يبتسم ابتسامة واسعة عريضة، ويغمز بعينه، مضيفًا:

- حتى الشحنة الأخيرة، التي وصلت إلى الجمارك صباح اليوم، أوراقها كلها سليمة تمامًا.

غمغم (رشاد) في خشونة:

- أمر طبيعي.

وصمت لحظة، قبل أن يضيف في صرامة:

- المهم ألا نفقد ورقة واحدة.

اتسعت ابتسامة (إدوارد)، وهو يقول:

- لا توصني.. أنا أعرف كل شيء، وأشرف عليه بنفسي.

تمتم (رشاد) في اقتضاب:

- عظيم.

وعاد يخفي وجهه بين الأوراق التي يطالعها، متابعًا:

- أخبرني عندما تصبح الشحنة كلها في مخازننا، وأبلغ شركاءنا في (لوس أنجلوس)، أنَّنا سنقوم بتحويل المبلغ المعتاد إليهم، في نهاية الأسبوع.

تساءل المحامي، في شيء من الخبث:

- مليونًا دولار كالمعتاد؟!

أجابه (رشاد) في صرامة:

- أنت تعرف أكثر مني.

ران عليهما الصمت بضع دقائق، بعد هذه العبارة الأخيرة، انشغل خلالها (رشاد)، أو تشاغل، بمطالعة بعض أوراقه، وكأنما يعلن محاميه بانتهاء المقابلة، إلا أن هذا الأخير لم يبرح مقعده، وإن لاذ بالصمت أيضًا، وظلّ يتطلع إليه بنظرة صارمة غاضبة، قبل أن يقطع الصمت بغتة، قائلًا:

- بلغني أنك تنوي ترشيح نفسك، في انتخابات مجلس الشعب القادمة.

انعقد حاجبَا (رشاد) في شدة، وكأنما بوغت بالعبارة، لم يلبث أن خلع منظاره بنفس البطء، الذي رفع به عينيه إلى المحامي، قائلًا في شيء من الشراسة، لم يستطع كبحه:

- وماذا في هذا؟!

قال المحامي بصرامة:

- كان ينبغي أن تستشير الأصدقاء في (لوس أنجلوس) أولًا.

زمجر (رشاد)، قائلًا في حدة:

- وما شأنهم بأمر كهذا؟! من الطبيعي أن أسعى بكل السبل، لدعم موقفي هنا، وعضوية مجلس الشعب تمنحني حصانة قانونية، وسلطة كبرى، يحتاج إليها العمل.

هتف المحامي:

- خطأ يا (رشاد) بك.. خطأ.. عضويتك لمجلس الشعب ستضعك في دائرة الضوء، وتحت اهتمام ورقابة رجال الصحافة، الذين كشفوا من قبل تورط بعض أعضاء مجالس الشعب السابقة في تجارات غير مشروعة، مما دفع المجالس إلى سحب عضويتهم، وتقديمهم للمحاكمة.

صاح (رشاد)، وهو ينهض من خلف مكتبه بحركة حادة:

- أغبياء! الصحافة لا تتوقف عن النبش خلفنا، سواء أكنت عضوًا في مجلس الشعب أو لا، ربما كان الأصدقاء الأمريكيون عباقرة في مضمارهم، ولكنهم يجهلون كل شيء عن طبيعة شعبنا وحياتنا، ولا يدركون أن حصانة كهذه تمنحك القوة على تجاوز كل القوانين، و...

قاطعه فجأة أزيز جهاز الاتصال الداخلي الخاص على مكتبه، فبتر عبارته بغتة، على الرغم من احتقان وجهه، وضغط زر الاتصال، قائلًا بصوت مختنق، لم يفارقه الانفعال بعد:

- ماذا هناك يا (نسرين)؟!

أجابته سكرتيرته الحسناء، في صوت خافت حذر:

- معذرة يا (رشاد) بك، ولكن هنا شخص يصر على مقابلتك شخصيًّا.

هتف في حدة:

- مقابلتي أنا؟! ومن هو بالضبط؟!

صمتت لحظة، قبل أن تجيب في حذر:

- محامٍ شاب، يُدعى (نديم فوزي).

قال في عصبية:

- (نديم فوزي)؟! وماذا يريد محامٍ شاب مني شخصيًّا؟! لماذا لم يلتق بأحد أفراد الشئون القانونية؟!

لم يكد (إدوارد) يسمع اسم (نديم)، يتردد على شفتي (رشاد)، حتى انتفض جسده في عنف، وهبَّ من مقعده بوثبة مباغتة، وأمسك يد (رشاد)، هاتفًا بصوت مبحوح، يموج بالانفعال:

- دعه ينتظر لحظة.

حدَّق فيه (رشاد) بدهشة مستنكرة، فتابع (إدوارد)، وهو يضغط زر إنهاء الاتصال، مستطردًا في توتر:

- أريد منك أن تلتقي به.

انعقد حاجبا (رشاد) في غضب، ولكنه عاد يضغط زر الاتصال، قائلًا لسكرتيرته:

- فليكن.. دعيه ينتظر بعض لحظات، وسألتقي به فورًا.

ثم أنهى الاتصال، وهو يلتفت إلى محاميه، هاتفًا في حنق:

- ما معنى هذا بالضبط؟! لماذا تريد أن ألتقي بمحام شاب تافه؟!

تراجع (إدوارد)، وأشعل سيجارته في عصبية، وهو يقول:

- (نديم فوزي) محام شاب بالفعل، ولكنه ليس تافهًا أبدًا.. وزيارته لك شخصيًّا، تعني أنَّه قد وضعك على قائمته، وهذا أمر مقلق للغاية.

حدَّق (رشاد) فيه بدهشة، قبل أن يهتف ساخطًا:

- ما الذي يعنيه كل هذا بالضبط؟! تتحدث عن ذلك المحامي الشاب، وكأنه (سوبرمان) مثلًا.

هزَّ المحامي رأسه، وهو ينفث دخان سيجارته في توتر، قائلًا:

- إنه ليس كذلك بالتأكيد، ولكنه أيضًا شخص لا يُستهان به.. ربما تجده شابًّا هادئًا، رصينًا، بسيطًا، عندما تلتقي به في شخصيته المعلنة، ولكنني واثق من أنَّه لن يروق لك أبدًا أن

تلتقي به، في شخصيته الأخرى.

حدَّق فيه (رشاد) بدهشة أكبر، وهو يقول:

- شخصية أخرى.. أهو مصاب بازدواج في الشخصية؟!

ابتسم (إدوارد) في سخرية عصبية، نفث بها دخان سيجارته مرة أخرى، قبل أن يجيب:

- نعم.. ولكنه ازدواج لن يروق لك أبدًا.. ازدواج من نوع بالغ الخطورة، فما أن يستثير حماسه أمر ما، حتى يتحول إلى....

ومال نحو (رشاد) بشدة، مضيفًا:

- عقرب.

اتسعت عينا (رشاد) أكثر، وحملت ملامحه بلاهة لا يتميز بها أبدًا، فتراجع (إدوارد)، قائلًا:

- دعك من التفكير الطويل، فلنلتق به أولًا، لنعرف ماذا يريد

منا، ثم أشرح لك كل شيء فيما بعد.

بقي (رشاد) على دهشته لحظات، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه، وكأنَّما ينفض عنه كل هذا، قبل أن يشير بيده، قائلًا:

- فليكن.. سنلتقي به.

نطقها بتوتر شديد، لم يفارقه لحظة واحدة، وهو يستقبل (نديم) في مكتبه، ويفحصه من قمة رأسه، وحتى أخمص قدميه، متسائلًا في حذر:

- أهلًا يا سيد (نديم).. هل لي أن أعرف سر هذه الزيارة المفاجئة، وسر إصرارك على مقابلتي شخصيًّا؟!

جلس (نديم) على المقعد المواجه لمكتب (رشاد)، دون أن يدعوه هذا الأخير لذلك، ورمق (إدوارد)، الذي يقف عند النافذة صامتًا، بنظرة لا مبالية، وهو يقول:

- لقد أقمتُ دعوى قضائية ضدك يا سيد (رشاد)، وأردتك أن تعرف بأمرها، قبل أن تصلك عريضة الدعوى رسميًّا.

انعقد حاجبا (إدوارد) في توتر، غير مُصدِّق أن يكون هذا هو السبب الحقيقي لزيارة (نديم)، في حين قال (رشاد) في عصبية:

- دعوى قضائية؟! بشأن ماذا؟!

هز (نديم) كتفيه في بساطة، قائلًا:

- إنك تفسد البيئة، بذلك المبنى الحديث الضخم، الذي ستقيمه في وسط المدينة، فطرازه جزء من التلوث البصري، و....

قاطعه (رشاد) في حدة:

- هذا فقط؟!

ابتسم (نديم) ابتسامة غامضة، استفزت الرجل أكثر، فهب من خلف مكتبه، مستطردًا في غضب:

- هل طلبت مقابلتي شخصيًّا، لسبب تافهٍ كهذا؟!

اتسعت ابتسامة (نديم)، وهو ينهض في هدوء، قائلًا:

- هل ترى تشويه البيئة سببًا تافهًا يا سيد (رشاد)؟

انعقد حاجبا (رشاد) في ثورة، وتجاهل إشارة (إدوارد) المتوترة، وهو يضغط زر جهاز الاستدعاء على مكتبه، قائلًا:

- إنَّه كذلك بالتأكيد.

لم تمض لحظة على ضغطة الزر، حتى ظهرت السكرتيرة (نسرين) على عتبة الحجرة، بصحبة اثنين من رجال أمن الشركة، أشار إليهما (رشاد)، قائلًا في حدة:

- اصطحبا السيد (نديم) للخارج.

تحرك الحارسان نحو (نديم) بعدوانية ظاهرة، إلا أنَّه ظلَّ على هدوئه، وهو يتجه إلى الباب، قائلًا:

- ستصلك عريضة الدعوى بعد غد على الأكثر.

صاح (رشاد) في حدة:

- لا تسمحوا له بمقابلتي مرة أخرى.

احتقن وجه (إدوارد)، والحارسان يصطحبان (نديم) خارج الحجرة، وما أن أغلقا الباب خلفهما، حتى قال في حدة عصبية:

- خطأ يا (رشاد) بك.. خطأ.. ما كان ينبغي أن تفقد أعصابك أبدًا.

صاح (رشاد):

- ألم تسمع ما قاله ذلك الوقح؟!

قال (إدوارد) في توتر:

- (نديم) لم يكن ليبلغك بأمر دعوى كهذه حتمًا.. أنَّه يحاول دراسة شخصيتك وردود أفعالك.

ثم انعقد حاجباه في شدة وهو يتطلع إلى المقعد الذي غادره (نديم) منذ لحظات، مضيفًا في عصبية:

- أو أن له هدفًا آخر.

ازداد انعقاد حاجبيه، عندما بلغ هذا الحد من التفكير، واندفع يلتقط جهاز الهاتف الداخلي، ويضغط أزراره في سرعة، ثم يقول:

- (جابر).. اسمعني جيدًا.. هناك محامٍ شاب سيغادر المكان الآن.. أرسل خلفه أحد رجالنا.. أريد أن أعرف أين سيذهب، ومَن سيقابل.. نعم.. أريده أن يلازمه كظله، حتى إشعار آخر.. اسمعني أيضًا.. أريد منك أن تصعد بنفسك، لفحص حجرة مكتب (رشاد) بك.. نعم هناك احتمال لا يمكن تجاهله.

لم يكد ينهي المحادثة، حتى هتف (رشاد) في غضب:

- يفحص مكتبي؟! أي هراء هذا؟! ما الذي تتوقعه بالضبط؟! أجهزة تنصت؟!

قال (إدوارد) في صرامة عصبية:

- ولم لا؟!

اتسعت عينا (رشاد) في ارتياع، وهو يهتف:

- يا إلهي! أهذا ممكن؟!

بدا المحامي أشبه بالشيطان ذاته، وهو يدير عينيه في الحجرة بتوتر بالغ، قائلًا:

- إنَّه أحد الاحتمالات القوية، وإلا فلماذا جاء (نديم) لمقابلتك شخصيًّا؟! لماذا؟!

نعم أيها المحامي الثعلب..

هذا هو السؤال..

لماذا جاء (نديم)؟!

لماذا؟!

لماذا؟!

***

«لقد أرسلوا من يتبعك بالفعل..»

نطقتها (غادة) في سخرية، وهي تختلس النظر، من خلف ستارة النافذة السميكة، إلى الرجل الذي يقف على الإفريز المواجه للبناية، متظاهرًا باللامبالاة، وهو يراقب المكان جيدًا، فابتسم (نديم) في هدوء، وهو يقول:

- عظيم.

سألته في دهشة مستنكرة:

- لماذا دفعتهم إلى هذا؟!

هز كتفيه، مجيبًا:

- أنا لم أدفعهم إلى أي شيء.. كل ما فعلته هو أن ذهبت لزيارتهم، ولكن شعورهم بالخطر هو الذي دفعهم لإرسال أحد رجالهم خلفي.

ثم تراجع في مقعده بهدوء، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه، مضيفًا:

- وهذا، من وجهة نظري، اعتراف بالذنب.

التقى حاجباها، وهي تشير بسبابتها، قائلة:

- السؤال هو: هل يتعقبون (نديم فوزي) المحامي، أم...

ومالت نحوه، مضيفة بلهجة ذات مغزى:

- أم (العقرب).

اتسعت ابتسامته، وهز كتفيه، قائلًا بنفس الهدوء:

- من الناحية المنطقية، ليس هناك سبب واحد، يدعوهم لإرسال أحد رجالهم، ليتعقب محاميًا، بسبب دعوى بيئية أقامها ضدهم.. وليس من المنطقي أيضًا، أن يعرف أشخاص عاديون، لا همَّ لهم سوى التجارة وإنشاء المشروعات المختلفة، أن (نديم فوزي)، هو في حقيقة الأمر مكافح سري للجريمة، يحمل اسم (العقرب).

ونهض من خلف مكتبه، واتجه بدوره إلى النافذة، مضيفًا:

- وكل هذا يعني أنَّنا نسير في الطريق الصحيح، وأن (رشاد السلباوي)، ومَن خلفه، ليسوا مجرد رجال أعمال كبار.. إنهم في الواقع من العمالقة.

واختلس نظرة إلى الرجل الذي يراقب المكان، مكملًا في حزم:

- عمالقة الجريمة.

لم يرق لها كثيرًا ما سمعته، فقالت في توتر:

- ما تقوله بالغ الخطورة يا (نديم)، فهو لا يعني أنك تواجه عتاة إجرام فحسب، ولكن يعني أيضًا أنَّه لم يعد هناك غطاء قوي، على حقيقة شخصيتك.

صمت لحظة، قبل أن يجيب في حزم:

- لقد انكشف الغطاء، منذ نزعت الإمبراطورة قناعي أمام رجالها، منذ عام أو يزيد، وأنت تعلمين، بحكم عملنا السابق كضابطي شرطة، أن الأخبار تنتشر بسرعة مدهشة، في العالم السفلي.

هتفت في ارتياع:

- رباه! هذا يعني أنَّنا سنواجه الخطر طوال الوقت.

قال في صرامة:

- إنَّنا نواجهه بالفعل طوال الوقت.

ثم رفع رأسه إليها، مضيفًا:

- ولكن الأمر يختلف كثيرًا هذه المرة.

قالها، واتجه إلى ما خلف مكتبه، وضغط الزر الخفي في الجدار، لتنكشف الفجوة التي تحوي زيه الأسود، وهو يكمل:

- فالعقرب لا يعمل هذه المرة منفردًا.. إنَّه يعمل من خلال مهمة.

وتراقصت ابتسامة جذلة أمام شفتيه، وهو يضيف في حزم:

- مهمة رسمية.

وأدركت (غادة) أن (العقرب) قد عاد إلى عالم مكافحة الجريمة..

وبكل قوته..

***

-٣-

الشحنة

فغر (رشاد) فاه في ذهول، وهو يحدِّق في وجه محاميه، ويستمع إليه في دهشة ما بعدها دهشة، والأخير يروي له كل ما يعرفه عن (نديم فوزي) و(العقرب)..

ولدقيقة كاملة، بعد أن انتهى (إدوارد) من روايته، ظلَّ (رشاد) صامتًا، ذاهلًا، مصدومًا، قبل أن ينتزع نفسه من كل هذا في عنف، هاتفًا:

- مستحيل! لا يمكن أن يكون لدينا شيء كهذا في (مصر).. مستحيل!

قال المحامي في صرامة:

- لكل شيء بداية.

لوح (رشاد) بذراعه، هاتفًا:

- إلا هنا.. (مصر) ليست (المكسيك) أو (نيويورك)، ليظهر فيها (زورو) أو (باتمان).. إنَّنا شعب مختلف تمامًا حتى إنك لو حولت ما أخبرتني به إلى فيلم سينمائي، لما صدقه مشاهد واحد، ولاتهموك بالمبالغة والتخريف.

قال المحامي بصرامة أكثر:

- ربما، ولكن ما أخبرتك به واقعي وصحيح تمامًا، وأخشى أن تتطور الأمور، لتواجهه بنفسك.

تراجع (رشاد) بحركة حادة، هاتفًا في هلع:

- أواجهه؟!

قال المحامي في شراسة:

- نعم.. لو ظللت تولول كالأرامل، بدلًا من أن تستوعب الأمر، وتتصدى له بالصرامة اللازمة.

هتف (رشاد)، وهو يواصل تراجعه المذعور:

- أتصدى له؟! أنت تعلم أنني لا أستطيع هذا.. تلك الأمور من اختصاصك أنت.

اعتدل (إدوارد)، مجيبًا:

- بالتأكيد.. كلانا يعلم هذا، وكذلك الأصدقاء في (لوس أنجلوس).. لهذا استخدموك كواجهة أنيقة فحسب، في حين وضعوا كل السلطات الأخرى في قبضتي أنا.

لوَّح (رشاد) بذراعه، قائلًا في عصبية:

- فليكن أيها المتباهي.. تول أنت الأمر كله، وتذكر أنني لا أريد أن أعرف ما ستفعله.

قال (إدوارد) في سخرية متوترة:

- رقة المشاعر وحساسية الدم مرة أخرى! لست أدري كيف يمكن لمثلك أن يعمل معنا.

هتف (رشاد) في حدة:

- تذكر أنهم هم سعوا إليّ، ولم أسع أنا إليهم.

قال المحامي في سخرية:

- ربما لأنك الطراز الذي يحتاجون إليه بالضبط.. الطراز الذي يعمل بناءً على الأوامر، ويجيد الحديث واللباقة فحسب، ولكنه لا يجرؤ على خداعهم، أو الاستيلاء على أموالهم، بأية صورة كانت.

صاح به (رشاد):

- أنت حقير.

هز (إدوارد) كتفيه، ودسّ كفيه في جيبي سرواله، قائلًا:

- هذا أحد مقومات وظيفتي.

ثم ترك حاجبيه يلتقيان، وهو يتحرك في المكان، متابعًا:

- الشيء الوحيد المؤكد الآن، هو أن (العقرب) يدس أنفه في شئوننا، وهذا يعني أنَّه، ولسبب ما، يشك في أمرنا،

ويستعد لجولة قريبة معنا، وهذا نذير بسيل من المتاعب، لا يمكننا معرفة أو تحديد مداه، ولا يمكننا أيضًا أن نجلس، في انتظار قدومها.. لا بد أن نكون أول من يتحرك، و...

قبل أن يتم عبارته، ارتفع رنين هاتفه المحمول بغتة، فاختطفه من جيبه في سرعة، وضغط زر الاتصال، قائلًا في لهفة:

- من المتحدث؟

انعقد حاجباه في شدة، وهو يستمع إلى محدثه، قبل أن يسأله في توتر:

- ما الموقف الآن يا (جابر)؟!

احتقن وجهه بشدة، وهو يصرخ:

- ماذا؟!

انتفض قلب (رشاد) في صدره هلعًا، وامتقع وجهه بشدة، وهو يهتف:

- ماذا حدث؟! ماذا حدث؟!

ولكن المحامي تجاهله تمامًا، وهو يصرخ عبر الهاتف:

- أغبياء.. حمقى.. ما كان ينبغي أن يحدث هذا أبدًا.. قل لهؤلاء الأوغاد أن يبذلوا قصارى جهدهم للعثور عليه.. هل تفهم؟!

أنهى المحادثة في عصبية زائدة، فأمسك (رشاد) كتفيه في ذعر، هاتفًا:

- أخبرني ماذا حدث بالله عليك؟!

التفت إليه المحامي بوجه محتقن، هاتفًا:

- لقد فقدوا أثره.

تراجع (رشاد) كالمصعوق، وهو يهتف بصوت مختنق:

- فقدوا أثره؟!

لوح المحامي بذراعه، وهو يقول في عصبية:

- ذلك الشيطان خدعهم، وتسلل من تحت أنفهم، واختفى.. اختفى تمامًا.

انتفض جسد (رشاد) كله هذه المرة، وهو يهتف:

- اختفى؟! يا إلهي!! وماذا سنفعل الآن؟! ماذا سنفعل؟!

أشار إليه المحامي في صرامة عصبية، قائلًا:

- اصمت يا رجل.. كف عن الارتجاف هكذا كالنساء، ودعني أحاول التفكير في هدوء.

أمسك به (رشاد) في رعب، وهو يردد:

- ولكنه سيهاجمنا.. أليس كذلك؟! سينقض علينا بغتة، كما فعل مع مَن قبلنا، و...

قاطعه المحامي بصرخة هادرة:

- قلت.. اصمت.

ارتجف (رشاد) في رعب، كطير ذبيح، وهو يلقي نفسه على مقعده في انهيار، في حين راح المحامي يتحرك في المكان في عصبية، قائلًا:

- لقد أدرك إذن أنَّنا نراقبه.. بل ربما كان هو من دفعنا إلى هذا، ليتبين حقيقة أمرنا.. يا للسخافة! وأنا وقعت في الفخ كالغر الساذج، ولم أتريث لأمنح نفسي مهلة للتفكير.. ياللغباء! ياللغباء! كان ينبغي أن أتمهَّل، قبل أن أقدم على هذه الحماقة.

ضاعف حديثه العصبي من ارتياع (رشاد) ورعبه، ولكنه لم ينبس ببنت شفة، وإنما اكتفى بمراقبة المحامي بعينين زائغتين، وهذا الأخير يواصل حديثه مع نفسه، قائلًا بكل عصبية:

- ولكن لماذا هرب منهم؟! ما الذي يسعى إليه بالضبط؟! إلى أين أذهب أنا، لو كنت في مكانه؟!

وتوقف بغتة، وهو يعتصر ذهنه، بكل ما يمتلك من قوة

وطاقة، مكملًا:

- أين يمكن أن يكون الآن؟ أين؟!

نعم أيها المحامي الثعلب..

أين؟!

***

أوقفت (غادة) سيارة (نديم) في حذر، إلى جوار أكبر مخازن شركات (رشاد السلباوي)، وهي تقول في توتر:

- اقتحامك لمخزن (السلباوي) بهذه السرعة، مغامرة غير مأمونة العواقب.

ابتسم (نديم)، وقال وهو يرتدي قفازيه السوداوين:

- على العكس يا عزيزتي.. القاعدة التي أثبتت نجاحها دومًا، وهي ضرورة طرق الحديد وهو ساخن..

ثم التقط قناعه من جيبه، ووضعه على وجهه، مكملًا:

- هؤلاء الأوغاد تحركوا فور مغادرتي شركتهم، ولو تأخرنا نحن في خطوتنا، سنمنحهم الوقت لاتخاذ كل التدابير اللازمة، لمنعنا من بلوغ أهدافنا.

كانت تشعر بقلق مبهم، في هذه الليلة بالذات، مما جعلها تسأله:

- وما الذي تتوقع العثور عليه في المخزن؟! الشحنة التي تسلمها (السلباوي) اليوم، تم فحصها جيدًا جدًّا، بواسطة ضباط الأمن والجمارك، وتقريرهم يؤكد أنَّها سليمة تمامًا، ولا تحوي أية أشياء ممنوعة.

عقد قناعه جيدًا، وهو يقول:

- ربما لا يمكنني الاقتناع بأن (رشاد السلباوي) يمكن أن يستورد شحنة من الكتب الثقافية..

غمغمت في قلق:

- ربما هي محاولة لتغطية شحنة أخرى قادمة.

هزَّ كتفيه، قائلًا:

- ربما.

ثم غادر السيارة، مستطردًا في حزم:

- وهذا ما على (العقرب) أن يكشفه.

ارتجفت شفتاها، وهي تقول:

- انتبه جيدًا الليلة.

ابتسم، وهو يشير إليها، مجيبًا:

- وأنتِ.. لا تغادري السيارة أبدًا.

غمغمت:

- سأحاول.

أشار إليها بيده مرة أخرى، وهو يتجه نحو المخزن في خفة، ثم سرعان ما تلاشى وسط الظلام..

وفي توتر لا مثيل له، ارتجف قلبها بين ضلوعها، وعقلها يتساءل: لماذا تشعر بكل هذا القلق الليلة؟!

لماذا؟!

أما هو، فقد تسلَّق أحد الأعمدة الخشبية الملاصقة لجدار المخزن، في سرعة ورشاقة، قبل أن يثب على سطحه في خفة، ثم يتجمد في مكانه، وعيناه تدوران فيما حوله في حذر..

لا حراسة على السطح..

نقطة في صالح (رشاد)، توحي بأن الشحنة لا تحوي ما يمكن أن يخشى ضياعه أو كشفه..

ولكن كتب ثقافية؟!

لا..

ليس هذا الطراز من البشر..

هناك شيء ما يختفي حتمًا، وراء تلك الشحنة الثقافية..

ودون أدنى شك.. جمُد في مكانه لدقيقتين كاملتين، ثم عاد يتحرك، بمنتهى الخفة بحثًا عن مدخل إلى المخزن..

وكان الأمر أسهل مما تصور..

لقد عثر على نافذة علوية، غير مغلقة، ولا يحيط بها أي حراس..

وبمرونته المعهودة، ربط طرف الحبل الذي يحمله، في إطار النافذة المعدني، ثم تدلى بواسطته إلى داخل المخزن..

كان المكان غارقًا في ظلام دامس، فيما عدا الضوء الخافت، المتسلل من النوافذ، والذي يحمل لمحة من ضياء القمر..

ولكنه لم يشعل مصباحه اليدوي..

فقط توقف في مكانه صامتًا ساكنًا، حتى اعتادت عيناه ذلك الضوء الخافت، ثم عاد يتحرك في خفة..

كان المخزن ضخمًا، يحتل ما يزيد على ألفي متر، توزعت فيها صناديق البضائع على نحو متناثر غير منتظم، لا يتفق مع شركة ضخمة شهيرة، مثل شركة (السلباوي)..

ولكن (العقرب) كان يبحث عن شحنة بعينها..

تلك الشحنة التي وصلت ظهر اليوم، والتي لم يتم فرزها والتعامل معها بعد..

ولقد عثر عليها، في الركن الشمالي من المخزن..

ما يقرب من ثلاثمائة صندوق من الورق المقوى، محاطة بإحكام، بأشرطة معدنية رفيعة، تضمن قوتها وتماسكها، وهي متراصة بعضها فوق البعض، في عشرة صفوف متجاورة..

وفي رشاقة وسرعة، تسلق (العقرب) ذلك الهرم من الصناديق، ثم أخرج مطواته السويسرية، وراح يعالج أحد الصناديق، حتى فتحه، والتقط من داخله أحد الكتب، وراح

يتأمله في اهتمام، على الضوء الخافت..

إنَّها كتب ثقافية بالفعل..

موسوعات بالغة الأناقة، ذات غلاف أحمر زاه من الجلد الطبيعي، المزدان بنقوش ذهبية، منحته فخامة تفوق المعتاد..

ترى أهذا كل ما تحويه الشحنة؟!

فحص الكتاب عدة مرات، في اهتمام بالغ، ثم لم يلبث أن دسه في قميصه، مغمغمًا:

- الأمر يحتاج إلى فحص أكثر دقة.

لم يكد ينطقها، حتى اشتعلت أضواء المخزن بغتة..

وعلى الرغم من التوتر الشديد، الذي سرى في كل ذرة من كيانه، إلا أنَّه ثبت في مكانه تمامًا، وقد بهر الضوء المباغت عينيه، وأجبره على إغلاقهما، و....

«كنت واثقًا من أنني سأجدك هنا..»

اخترقت العبارة الساخرة الشامتة أذنيه، ففتح عينيه في حركة سريعة، وحدق في ذلك المشهد أمامه..

فهناك، وعند كومة أخرى مجاورة من الصناديق، كان يقف (إدوارد)، محامي (رشاد السلباوي)، وحوله أربعة من رجال الأمن الأقوياء، وهو يتابع في ثقة:

- يبدو أنني نجحت في قراءة أفكارك هذه المرة، أيها (العقرب).

كان الموقف عسيرًا وشديد الحساسية بالفعل، إلا أن (العقرب) تماسك في سرعة، وهو يقول:

- عظيم.. والآن وبعد أن قرأت أفكاري، وعثرت عليّ هنا، ماذا تنوي أن تفعل؟! هل ستقتلني بحجة أنّني دخلت مخزن رئيسك خلسة؟!

ارتفع حاجبا المحامي، في دهشة مصطنعة، وهو يقول:

- أقتلك؟! يا لها من فكرة!

ثم عادت أساريره تنبسط، في ثقة شامتة، وهو يضيف:

- خطأ أيها (العقرب).. خطأ.. أنا رجل قانون، وكل ما أفعله قانوني مائة في المائة.. لقد شككت في أنك تنوي سرقة مخازننا، واتخذت الإجراء القانوني تمامًا.

«هذا صحيح..»

جاءت العبارة الأخيرة، من خلف مجموعة من الصناديق المجاورة، وعلى إثرها اندفع فريق من رجال الشرطة، من كل صوب، وصوبوا مدافعهم الآلية إلى (العقرب)، ثم لحقهم صاحب العبارة، وعيناه تتألقان في ظفر، وهو يتابع:

- ولقد كانت فرصة لا يمكن أن أضيعها، لألتقي بك وجهًا لوجه على الأقل.

وانعقد حاجبا (العقرب) في شدة..

فذلك القادم، كان آخر شخص يتمنى رؤيته، في مثل هذه

الظروف..

لقد كان عدوه الأول، في صفوف الشرطة، والرجل الذي اعتبر أن هدفه الأول في الحياة هو الإيقاع بـ(العقرب)..

كان (مجدي)..

العقيد (مجدي)..

***

-٤-

الفخ

كان من الواضح أن الموقف شديد التعقيد، وفي غير صالح (العقرب)، على طول الخط؛ فهو داخل مخزن يمتلكه (رشاد السلباوي)، ويحيط به رجال الشرطة بمدافعهم الآلية، ويواجه (إدوارد)، المحامي الثعلب، مع العقيد (مجدي)، رجل الشرطة، الذي لا همَّ له في الحياة سوى إثبات أن (نديم فوزي) ضابط الشرطة السابق، والمحامي الحالي، هو نفسه (العقرب)..

وفي موقف كهذا، لم يعد الأمر يسيرًا على الإطلاق..

يكفي أن يتقدم (مجدي) نحوه، وينزع قناعه، و...

«أظنك قد وقعت أخيرًا يا سيد (نديم)..»

نطقها (مجدي) في ظفر شامت مبتهج، وهو يتطلع إلى (العقرب)، بقناعه الأسود، الذي يخفي معظم ملامحه، في

حين ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتي (إدوارد)، وهو يلوح بيده، قائلًا:

- أرأيت؟! كل شيء قانوني مائة في المائة.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (العقرب)، وهو يلتقط الكتاب، ذا الغلاف الأحمر الفاخر، من طيات ثيابه، ويرفعه إلى جوار وجهه، قائلًا:

- حتى هذا؟!

احتقن وجه (إدوارد) بشدة، وانقلبت سحنته على نحو مدهش، وهو يحدِّق في الكتاب، حتى إن حاجبي (مجدي) انعقد في توتر، وهو يسأل في عصبية:

- ما أهمية هذا الكتاب بالضبط؟!

لم يبد حتى أن (إدوارد) قد سمعه، وهو يهتف برجال الأمن الأربعة، الذين يحيطون به:

- استعيدوا هذا الكتاب منه.. بسرعة.

لم يكد هتافه يكتمل، أو ربما قبل هذا بلحظة، حتى اندفع رجال الأمن الأربعة نحو (العقرب)، في شراسة عنيفة، وانتزع أحدهم مسدسه بحركة حادة، فصرخ العقيد (مجدي) في عصبية آمرة:

- لا تطلقوا النار.

اقترنت آخر حروف كلماته بفرقعة مكتومة..

ثم انقطع التيار الكهربائي دفعة واحدة..

ومع المفاجأة، دوّى في المكان صوت طلق ناري، والتمع وهج رصاصة، مقترنًا بصرخة (مجدي)، وهو يكرر:

- قلت لا تطلقوا النار.

ولكن صرخته ضاعت وسط هرج ومرج عجيبين، سادا المكان، وسط الظلام الدامس، وبدا وكأن الجميع يتحركون على نحو عشوائي متخبط، وظهر وهج رصاصة أخرى، مقترنًا بدويها، مع صرخة (مجدي) الغاضبة:

- أغلقوا كل المداخل.. إنكم تفسدون كل شيء.

لم يكد يتم عبارته، حتى فوجئ بأصابع قوية تنغرس في كتفه، وسمع من يهمس في أذنه، بلهجة صارمة:

- لو أنَّني في مكانك، لما غادرت قبل أن أفحص هذه الكتب الأنيقة.

استدار بسرعة إلى مصدر الصوت، صارخًا:

- إنَّه هنا.

ولكن أصابعه قبضت على الفراغ، في نفس اللحظة التي انتزعت فيها تلك الأصابع القوية من كتفه، وارتفعت في الظلام ضحكة ساخرة مستفزة..

ضحكة (العقرب)..

وبكل غضبه وثورته، صرخ (مجدي):

- أغلقوا كل الأبواب.

وتبعه (إدوارد)، صائحًا:

- لا تسمحوا لأحد بالخروج من هنا.. سيعمل مولد الطوارئ بعد دقيقة واحدة.

اندفع الرجال يتخبطون ويتصادمون، وسط الظلام الدامس، وارتفعت الصرخات الغاضبة من كل صوب..

ثم بدأ المولد الاحتياطي عمله، واشتعلت الأضواء كلها دفعة واحدة، لتغمر المخزن كله..

وبحركة واحدة، التفتت العيون كلها إلى حيث كان يقف (العقرب)، ثم اندفعت تبحث في كل صوب..

ولكن باستثناء (إدوارد) ورجال الأمن الأربعة، و(مجدي) ومن تبعه من رجال الشرطة، لم يكن هناك أثر لمخلوق آخر..

أدنى أثر..

***

«لم يكن أمامي سوى هذا..»

غمغمت (غادة) بالعبارة، وهي تنطلق بسيارة (نديم) مبتعدة عن منطقة مخازن (رشاد السلباوي)، فانتزع (نديم) قناعه، وألقاه داخل حقيبة صغيرة، وهو يبتسم، قائلًا:

- كان هذا أعظم رد فعل رأيته في حياتي كلها.

هزت رأسها، قائلة:

- لقد رأيتهم يدخلون المخزن، وأدركت أنَّهم سيحاصرونك، ولما لم أجد ما أفعله، فقد اتجهت إلى كشك الكهرباء الرئيسي، ونزعت المحولات الأساسية.

قال وهو يستبدل ثيابه في سرعة:

- كانت مخاطرة كبيرة.

غمغمت:

- وماذا كان البديل؟! أن أتخلى عنك!!

ابتسم وهو يتمتم:

- مستحيل!

تضرج وجهها بحمرة الخجل، وهي تغمغم:

- لو تبدل الوضع، كنت ستفعل المثل.. أليس كذلك؟!

تطلع إليها لحظة، قبل أن يجيب برصانته المعهودة:

- بالتأكيد.

كان قد انتهى من نزع ثياب (العقرب) السوداء، التي يرتديها فوق ثيابه، فدسها في حقيبته مع القناع، والتقط سترته من الأريكة الخلفية للسيارة، وهو يقول:

- أتعشم أن يفعل (مجدي) ما نصحته به.

سألته في اهتمام، وهي تنحرف بالسيارة إلى الطريق الرئيسي:

- وما الذي نصحته به؟!

التقط نسخة الكتاب الفاخر، وناولها إياه، وهو يقول:

- أن يفحص شحنة الكتب هذه.

انعقد حاجباها، وهي تفحص الكتاب بمنتهى الاهتمام، قبل أن تقول:

- وما الذي تتوقع أن يجده فيها؟!

هز رأسه قائلًا:

- لست أدري.

وصمت لحظة، قبل أن يضيف في حزم:

- ولكن من المستحيل أن يستورد رجل مثل (رشاد السلباوي)، شحنة من كتب ثقافية، دون أن يكون وراء هذا هدف خفي.

قالت في اهتمام:

- ربما هي شحنة تمويهية.

هز كتفيه، ومطَّ شفتيه، مغمغمًا:

- ربما.

لم يكد ينطقها، حتى سطع ضوء قوي في وجهيهما، وظهرت حواجز طرق تسد الطريق أمامهما، وعلى جانبيها عدد من رجال الشرطة، فغمغمت (غادة) في عصبية:

- هل نتوقف؟!

انعقد حاجباه، وهو يعتدل في مقعده، مجيبًا في صرامة:

- بالتأكيد.

تساءلت في عصبية أكثر:

- وماذا لو أنَّهم ينتظروننا بالتحديد؟! أعني لو أن العقيد

(مجدي) قد اتصل بهم لاسلكيًا، وطلب منهم أن..

قاطعها في حزم:

- هذا هو الأرجح.

سألته في دهشة عصبية:

- وما زلت ترغب في أن تتوقف.

قال بكل الصرامة والحزم:

- بالتأكيد.

ضغطت فرامل السيارة في توتر، وتركتها تتوقف على جانب الطريق، على مسافة متر واحد من الحواجز، فاتجه أحد رجال الشرطة نحوهما، وهو يحمل سلاحه الشخصي، ثم انحنى يطلق ضوء مصباحه اليدوي في وجهيهما، قبل أن يبتسم، قائلًا:

- مساء الخير يا سيد (نديم).

واعتدل، ليضغط زر جهاز الاتصال اللاسلكي، قائلًا:

- من الحاجز الأول إلى سيادة العقيد (مجدي).. لقد استوقفنا الهدف بالفعل.. وفي المكان المتوقع.

وهنا شعرت (غادة) بكل غضب وسخط الدنيا، وهي تتطلع إلى حقيبة (نديم)، الملقاة في المقعد الخلفي، وبداخلها ثوب وقناع (العقرب)..

وفي أعماقها، بدا لها أن المصيدة قد أطبقت عليهما هذه المرة..

بمنتهى الوضوح..

والقوة..

***

«ما الذي تحتويه هذه الكتب بالضبط؟»

ألقى العقيد (مجدي) السؤال في عصبية شديدة، على

المحامي (إدوارد)، فانقلبت سحنة هذا الأخير في شدة، وهو يجيب:

- وما الذي يمكن أن تحتويه؟! ثقافة ومعلومات عامة.. إنَّها مجرد موسوعات.

رماه (مجدي) بنظرة نارية، وهو يسأله:

- لماذا إذن احتقن وجهك، عندما رأيت أحدها في يد (العقرب)؟!

صاح (إدوارد) في حدة:

- ماذا دهاك أيها العقيد؟! هل فقدت القدرة على التمييز، بين اللص والشريف؟! هل نسيت أنَّك هنا لتلقي القبض على ذلك المقنع، الذي اقتحم مخازننا عنوة؟!

قال (مجدي) في صرامة:

- أنا هنا لتطبيق القانون، وتحقيق العدالة.

صاح (إدوارد):

- حقًّا؟! لماذا عجزت ورجالك عن الإمساك بذلك المقنع المتسلل إذن؟!

رفع (مجدي) جهاز الاتصال اللاسلكي، وهو يهتف:

- ألم تسمع بنفسك؟! لقد استوقفته دوريتنا على الطريق.

هتف (إدوارد):

- دوريتكم استوقفت (نديم فوزي)، وليس (العقرب).

انعقد حاجبا (مجدي) في شدة، وهو يقول في صرامة:

- وكيف عرفت أنَّه (نديم فوزي)؟!

انتفض جسد (إدوارد)، وهو يقول في عصبية:

- ماذا تعني؟!

بدا (مجدي) شرسًا، على نحو عجيب، وهو يلوح في وجهه بجهاز اللاسلكي، قائلًا:

- أعني أن أحدًا لم يذكر اسم (نديم فوزي) كاملًا قط.. لقد اتصلت برجالي، وطلبت منهم إيقاف سيارة (نديم) إذا ما وجودها على الطريق، تتجه نحو القاهرة.. وعندما أبلغوني بإيقافها، اكتفوا بقول: إنهم قد استوقفوا الهدف، فمن أين جئت بلقب (نديم)؟!

صمت (إدوارد) لحظة، قبل أن يقول في حدة:

- إنَّه محام مثلي، ومن الطبيعي أن أعرفه.

قال (مجدي) في سرعة وصرامة:

- ولكن ليس من الطبيعي أن تربط بينه وبين (العقرب).

ثم تراجع في حركة حادة، مستدركًا:

- إلا إذا..

سأله (إدوارد) في عصبية:

- إلا إذا ماذا؟!

لم يجب (مجدي) سؤاله، وإنما تطلع إلى عينيه مباشرة، كما لو أنَّه يقرأ ما يدور في أعماقه، قبل أن يقول في بطءٍ صارم:

- لو أنك نطقت اسم (العقرب)، أمام أي مواطن عادي، لما وجدت لديه أي صدى له، ولو أخبرته باسم (نديم فوزي)، لتذكر أنَّه قد شاهد لافتة على مكتب في وسط المدينة تحمل هذا الاسم، أو ربما يجهله تمامًا.. قلائل هم من يعرفون (نديم فوزي)، وندرة من يعرفون (العقرب)، وفئة واحدة فحسب، هي التي يمكنها أن تربط بين هذا وذاك.

سأله (إدوارد) في حذر زائد:

- أية فئة تلك؟!

رمقه (مجدي) بنظرة صارمة أخرى، قبل أن يقول:

- قل لي يا سيد (إدوارد) هل يمكنني الحصول على أحد هذه الكتب الأنيقة؟!

تضاعف حذر (إدوارد)، وهو يسأله:

- ولماذا؟!

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتي (مجدي)، وهو يقول:

- سأدفع ثمنه بالطبع.

ران عليهما الصمت لحظات، وكل منهما يتطلع إلى عيني الآخر، بنظرة تحمل تحديًا غامضًا مكبوتًا، قبل أن يقول (إدوارد) في روية حذرة:

- غدًا سأرسل إليك موسوعة كاملة يا سيادة العقيد.

انحنى (مجدي) يلتقط نسخة، من الصندوق الذي فتحه (العقرب)، قائلًا:

- سأكتفي بكتاب واحد، و...

أمسك (إدوارد) معصمه فجأة في قوة، وهو يقول في صرامة عصبية:

- كلا.

رفع (مجدي) عينيه إليه في تحدٍّ، قائلًا:

- وماذا لو أصررت؟!

أجابه (إدوارد) في حدة:

- في هذه الحالة، سأصر أنا على وجود إذن من النيابة.

غلفهما الصمت بضع لحظات أخرى، وكلاهما يتطلَّع إلى عيني الآخر مباشرة، قبل أن يقول (مجدي) في صرامة، وهو يفلت نسخة الكتاب:

- فليكن.. ما دمت تصر.

وأشار إلى رجاله، مستطردًا:

- سننصرف الآن يا سيد (إدوارد)، ولكن ثق بأنَّنا سنعود غدًا.

ثم التفت إليه، وأطلت من عينيه نظرة غاضبة صارمة، وهو يضيف:

- مع إذن النيابة.

انعقد حاجبا (إدوارد) في شدة، وهو يتابع انصراف رجال الشرطة، حتى قال أحد رجال الأمن في توتر:

- هل ألقوا القبض على ذلك المقنع بالفعل؟!

ازداد انعقاد حاجبي (إدوارد)، وهو يقول:

- لا تشغل ذهنك بهذا الآن، فلدينا الكثير من العمل هنا الليلة.

والتقط هاتفه المحمول من جيبه، وهو يضيف في صرامة:

- أما ذلك المقنع، فسنستدعي من يمكنه التعامل معه.

قالها، وهو يضغط أزرار هاتفه الخلوي في سرعة، ثم أشار إلى الرجل، ليبتعد عنه، قبل أن يسمع صوت محدثه عبر المحيط، فيقول في حزم:

- هاي (شارلي).. إنَّه أنا (إدوارد).. أتحدث من القاهرة.. اسمعني جيدًا يا (شارلي).. هناك بعوضة تسبب لنا الأرق هنا.. أخبر الرفاق في (لوس أنجلوس) أنَّنا نحتاج إلى مبيد قوي؛ ليخمد صوتها للأبد.. لا.. لن يمكنني الانتظار حتى ترسلوا مبيدًا من الولايات المتحدة.. دعهم يرسلوا أحد مبيدات (أوروبا).. نعم.. بأسرع وسيلة ممكنة.

ثم أنهى الاتصال، وحاجباه يكادان يمتزجان، من فرط انعقادهما، وهو يغمغم بكل سخط وغضب الدنيا:

- فليكن أيها (العقرب).. لقد أفسدت الأمور كلها هنا.. لنر كيف ستواجه مبيدًا محترفًا.

نطقها، ثم أعاد هاتفه إلى جيبه، وهو يلقي أوامره الجديدة لرجاله..

الأوامر التي ستشعل النيران في كل شيء..

كل شيء..

بلا استثناء..

***

-٥-

صراع الذئاب

تألقت عينا العقيد (مجدي) في ظفر واضح، وهو يوقف سيارته عند حاجز الطريق، وغادرها في انفعال، واتجه في خطوات متئدة نحو سيارة (نديم)، التي جلس داخلها هذا الأخير في هدوءٍ مستفزٍّ، على عكس زميلته (غادة)، التي بدت شديدة العصبية، وهي تهتف:

- هل يمكنني أن أفهم معنى ما يحدث هنا؟!

ابتسم (مجدي) في سخرية عصبية متشفية، وهو يقول:

- ألا تفهمين معناه حقًّا؟!

أشار إليه أحد رجال الشرطة، قائلًا في توتر:

- إنهما يرفضان الخروج من السيارة.

انعقد حاجبًا (مجدي) في غضب، وهو يقول في حدة:

- سنجبرهما على هذا.

أشار (نديم) بسبابته، قائلًا في هدوءٍ صارمٍ حازمٍ:

- أحذرك من فعل هذا، ففي حكم القانون، تعدُّ السيارة مكانًا خاصًّا وتمامًا مثل المنزل، ولا يمكنك اقتحام كليهما، إلا بناءً على أمر مباشر، أو إذن من النيابة، وإلا تعرضت للمساءلة، ولاحتمال التقاضي والتعويض أيضًا.

قال (مجدي) في حدة:

- وماذا عن الاشتباه؟!

هزَّ (نديم) كتفيه، قائلًا:

- لا بد أن تسبقه تحريات جادة، أو يقترن بعدم حمل الشخص لأوراقه الشخصية أو هويته، وبالنسبة لحالتنا هذه، لقد عملنا معًا لبعض الوقت، وهذا يعني أنك تعرفني جيدًا، ومن السهل إثبات هذا، مما يحتم أن..

قاطعه (مجدي) في غضب:

- وماذا لو ضربت كل هذا عرض الحائط، وقمت بتفتيش سيارتك قسرًا، وعثرت فيها على زي (العقرب).

مطَّ (نديم) شفتيه في لامبالاة، وهو يقول:

- لن يكون لهذا أية أهمية؛ لأنه تفتيش غير قانوني، وكل ما ينجم عن خطأ فهو خطأ أيضًا، و...

قاطعه (مجدي) بصيحة هادرة:

- فليكن.. لن يعنيني أن ترفض النيابة الاعتراف بالدليل.. يكفيني أن أتيقن أنا من الأمر بصفة شخصية.

هزَّ (نديم) رأسه، قائلًا:

- كان يمكنك هذا بالفعل، لولا أنَّك أضعت وقتًا ثمينًا في هذه المحاورة.

سأله (مجدي) في عصبية شديدة:

- ماذا تعني؟!

ارتسمت على شفتي (نديم) ابتسامة، لم ترق له أبدًا، وهو يشير بسبابته إلى ما خلف (مجدي) مجيبًا:

- أعني أن رئيسك قد وصل.

استدار (مجدي) إلى حيث يشير (نديم)، في حركة حادة، والتقى حاجباه في غضب شديد، عندما رأى سيارة اللواء (حلمي) تتوقف، ويغادرها هذا الأخير، وهو يقول في حدة:

- ماذا تفعل هنا أيها العقيد؟!

أطلقت (غادة) من أعمق أعماقها زفرة حادة، وهي تهتف:

- أخيرًا.

أما (مجدي)، فقال في عصبية:

- أؤدي عملي يا سيادة اللواء.

قال اللواء (حلمي) في غضب صارم، وهو يتجه نحوه:

- لستُ أذكر أنَّني قد نقلتك إلى قسم دوريات الطرق السريعة أيها العقيد.

صاح (مجدي) في حدة:

- لدي ما يبرر اعتقالي لهذا الرجل يا سيادة اللواء.

سأله في صرامة:

- وما مبرراتك؟

قال في عصبية شديدة:

- أشك في أنَّه (العقرب).

صاح اللواء (حلمي) في غضب:

- تشك؟! فقط تشك؟!

هتف (مجدي)، وقد تضاعفت عصبيته:

- لو أنَّني عثرت في سيارته على ثياب (العقرب)، فسوف...

قاطعه اللواء (حلمي) في حدة غاضبة:

- لو؟! أهذا ما تعلمته طوال عملك في الشرطة؟! لو؟!

قال (مجدي) في حدة:

- سيادة اللواء.. أرى أنك تنحاز بشدة لـ...

قاطعه (نديم) في سرعة:

- للقانون يا عزيزي (مجدي).. للقانون وحده.

احتقن وجه (مجدي) في شدة، وهو يدير عينيه إليه في حركة حادة، في نفس الوقت الذي عقد فيه اللواء (حلمي) ساعديه أمام صدره، قائلًا في صرامة:

- والآن، لو أنَّك تحمل إذنًا من النيابة بالتفتيش فافعل، أما

لو لم تكن، فلينصرفا فورًا.

ثم التفت إلى رجال الشرطة، مكملًا بنفس الصرامة:

- ارفعوا الحواجز.

أسرع الرجال يزيحون حواجز الطريق، فأدارت (غادة) محرك سيارة (نديم)، وهي تغمغم في توتر شديد:

- سأغادر هذا المكان بأقصى سرعة.

ابتسم (نديم)، وهو يقول:

- بل بكل هدوء وثقة يا عزيزتي.. هذا سيستفز صديقنا (مجدي) أكثر.

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفع أزيز جهاز اللاسلكي، الذي يحمله (مجدي)، فرفعه هذا الأخير إليه في سرعة، قائلًا:

- العقيد (مجدي).. ماذا هناك؟!

اتسعت عيناه بشدة، على نحو جذب انتباه الجميع، وجعل (غادة) تتمتم:

- ترى ماذا؟!

قبل أن تتم عبارتها، هتف (مجدي) بانفعال شديد:

- سأحضر على الفور.

ثم أنهى الاتصال، واستدار إلى اللواء (حلمي) مستطردًا بكل انفعالاته:

- مخازن (رشاد السلباوي).. لقد اشتعلت فيها النيران كلها.

واتسعت عيون الكل عن آخرها..

فقد كانت مفاجأة..

مذهلة..

***

انتفاضة مباغتة سرت في جسد (غادة)، وجعلتها تهب من نومها مضطربة، قبل أن تتطلع فيما حولها، ثم تطلق زفرة عصيبة، مغمغمة:

- آه.. مرة أخرى أقضي ليلتي في المكتب.

نهضت من الأريكة الوثيرة في حجرة مكتبها، وتثاءبت في إرهاق، وهي تلقي نظرة على ساعة يدها، قبل أن تضيف:

- السابعة والربع.. عظيم.. يبدو أن هذه أضمن وسيلة، لكي أصل إلى العمل مبكرًا، وأجد موضعًا لانتظار السيارة أيضًا.

مالت تتطلع إلى المرآة الصغيرة في حجرتها، ثم مطّت شفتيها، مكملة:

- وأضمن وسيلة لأبدو قبيحة في الصباح أيضًا.

أخرجت حقيبتها، وراحت تولي زينتها عناية سريعة، قبل أن تغادر حجرتها، وتتجه إلى حجرة (نديم)، التي ترك بابها مفتوحًا على مصراعيه، وقالت وهي تدلف إليها:

- من الواضح أنَّك لم تنم لحظة واحدة منذ مساء أمس.

غمغم، وهو يقلب الكتاب الأحمر الفاخر بين يديه:

- لقد حاولت.. وفشلت.

ثم مال إلى الأمام، مستطردًا في شيء من التوتر، أفسد هدوءه التقليدي:

- فحصت هذا الكتاب أكثر من مائة مرة، ولم أجد شيئًا.

جلست على مقعد قريب، وهي تقول:

- ربما الأمر لا يكمن في الكتاب نفسه.. ربما في الصناديق التي تحوي الكتب، أو في مكان سري بالمخزن، أو...

قاطعها في حزم:

- كلا.. إنَّكِ لم تري وجه (إدوارد)، عندما لوحت له بالكتاب.. ثم إنَّ إحراق المخازن يعني محاولة إخفاء أمر ما.. أمر يتعلق بشحنة الكتب هذه.

قلبت كفيها في استسلام، قائلة:

- ولكنك لم تجد شيئًا.

قلب الكتاب بين يديه مرة أخرى، قبل أن يقول في حزم:

- ربما لم أبحث بأسلوب سليم.

تراجعت في مقعدها، قائلة في توتر:

- كل مرة أتأكد من أنَّك عنيد للغاية يا (نديم).

قال في سرعة:

- هذا صحيح.

ثم مال نحوها، مستدركًا:

- ولكنني لست مكابرًا.

ظهر عم (أحمد) فراش المكتب، في هذه اللحظة، وبدت

عليه الدهشة، وهو يقول:

- أنتما هنا؟! في هذه الساعة؟!

لوَّح (نديم) بيده، قائلًا:

- العمل مرة أخرى يا عم (أحمد).. ما رأيك لو أعددت لنا قدحين من القهوة المركزة؟!

ارتفع من خلف عم (أحمد) صوت صارم قاس، يقول:

- اجعلهما خمسة.

ثم برز (إدوارد) عند باب حجرة مكتب (نديم)، وخلفه اثنان من رجال أمن شركات (رشاد السلباوي)، بجسديهما الضخمين، وعضلاتهما المفتولة، وتلك النظرة الشرسة المتحفزة، المطلة من عيونهما..

وبحركة سريعة، أمال (نديم) يده الممسكة بالكتاب الأحمر الفاخر، خلف حافة المكتب، ودسه في درج مفتوح، ثم أغلق ذلك الدرج في بطء، وهو يقول هادئًا:

- يا لها من زيارة، في هذه الساعة المبكرة!

من حركة عيني المحامي، أدرك (نديم) أنَّه قد لمح ما فعله، ولقد أعلن هذا بلهجته الصارمة القاسية، وهو يقول:

- أظنُّك قد احتفظت بشيء يخصنا، من باب الخطأ يا سيد (نديم).

تراجع (نديم) في مقعده بهدوء، قائلًا:

- أي شيء هذا؟!

نقلت (غادة) بصرها بينهما في حذر، والمحامي يجيب في شراسة:

- كتاب أحمر أنيق، من القطع الكبير.. جزء من موسوعة عامة بالتحديد.

صمت (نديم) لحظة، ثم مال إلى الأمام، قائلًا بنفس الهدوء، وإن اكتست نبرته بشيء من الصرامة هذه المرة:

- وبم يفيدكم هذا الجزء، وقد أُحرقت الموسوعات كلها، حسبما سمعت؟!

احتقن وجه المحامي غضبًا، ومد يده إلى الأمام، قائلًا بكل صرامة:

- الكتاب يا سيد (نديم).

تبادلَا نظرة طويلة متحدية، قبل أن يتراجع (نديم) في مقعده، ويلتقط سماعة هاتفه، قائلًا في صرامة واضحة:

- ليس لدي أي شيء يخصكم يا سيد (إدوارد)، ولو لم تغادروا مكتبي الآن، فسوف...

قبل أن يتم عبارته، تراجع المحامي الذئب خطوة حادة إلى الخلف، ثم أشار بيده في صرامة، فاندفع الحارسان في آنٍ واحد وكل منهما يستل مسدسه، وأحاط أحدهما عنق عم (أحمد) بذراعه القوية، وألصق فوهة مسدسه بعنقه المتغضن، فشهق المسكين في رعبٍ، في نفس اللحظة التي انقضَّ فيها الثاني على (غادة)، وجذبها من شعرها في قسوة، قبل أن يلصق فوهة مسدسه بأذنها اليمنى، قائلًا في وحشية:

- كلمة واحدة وأصنع قناة مباشرة بين أذنيك.

هبَّ (نديم) من مقعده، قائلًا في غضب:

- ما هذا بالضبط؟!

أجابه (إدوارد) في سرعة وصرامة:

- أسلوب أفضل في التعامل مع عقرب مثلك يا سيد (نديم).

صاح به (نديم):

- هذا الأسلوب ينقلك، من قائمة المحامين إلى خانة البلطجية.

أجابه (إدوارد) في تحدٍّ:

- بالضبط.. ولكن بأسلوب قانوني وذكي أيضًا، فالمسدسان مزودان بكاتمي صوت، كما لا بد أنَّك قد لاحظت، ولدينا عشرة شهود على الأقل، على أن ثلاثتنا لم نغادر مقر الشركة

لحظة واحدة، منذ اندلع حريق المخازن، وحتى تحضر الشرطة لاستجوابنا.. ثم إن المسدسين مستعملان، وكلاهما سيتم تعريفه كسلاح مستخدم في جرائم سابقة في الصعيد.

تطلّع (نديم) لحظة إلى الرعب المطل من عيني (غادة) وعم (أحمد)، وإلى الوحشية الواضحة في نظرات وتصرفات رجلي أمن شركات (رشاد السلباوي) ثم إلى تلك الصرامة القاسية الشرسة، في وجه (إدوارد)، قبل أن يقول في توتر:

- ماذا تريد بالضبط؟!

حملت كلمات (إدوارد) نبرة ظافرة، وهو يقول:

- الكتاب يا سيد (نديم)، وأية نتائج حصلت عليها من فحصه.

اخترقت العبارة الأخيرة مخ (نديم) مباشرة، وأطلقت صفارة إنذار كبيرة.. إذن فالكتاب يحوي شيئًا ما بالفعل..

شيء جازف (إدوارد) بهجوم مباشر لاستعادته..

وبأي ثمن..

«الكتاب والنتائج يا سيد (نديم)، وإلا..»

أطلق (إدوارد) عبارته في صرامة وحشية رهيبة، فمطَّ (نديم) شفتيه، قائلًا:

- فليكن.

وفي استسلام عجيب، انحنى يفتح درج مكتبه، و...

«انتظر..»

هتف (إدوارد) بالكلمة في حدة، وهو يستل مسدسه، ويصوبه على (نديم)، مستطردًا في عصبية:

- ببطءٍ، ودون أية مفاجآت.

ارتسمت ابتسامة ساخرة، على ركن شفتي (نديم)، وهو يقول:

- اطمئن أيها الحقير.. لست أهوى التعامل مع الأسلحة النارية.

ثم اعتدل، وهو يحمل ذلك الكتاب الأحمر الأنيق، مستطردًا:

- فالأسلحة لا تكون بالضرورة نارية.

مدَّ (إدوارد) يده في لهفة، ليلتقط الكتاب، و...

وفجأة، ارتفع رنين جرس الباب، مع صوت قوي، يهتف:

- افتح الباب.. شرطة.

تراجع (إدوارد) بحركة حادة، وامتقع وجهه بشدة، واضطرب حارساه..

وبحركة مباغتة سريعة، وثب (نديم) عبر المكتب، وانقض على الرجال الثلاثة..

واشتعل الموقف كله دفعة واحدة..

بمنتهى العنف..

***

-٦-

المبيد

انحنى فني المعمل الجنائي يفحص بقايا الحريق في اهتمام، قبل أن يهز رأسه في حيرة مغمغمًا:

- عجبًا!

تثاءب العقيد (مجدي) في إرهاق، قبل أن يسأله:

- ماذا هناك؟!

هزَّ الفني رأسه مرة أخرى، قائلًا:

- لقد كان حريقًا مدمرًا، حتى أنَّه قد التهم كل شيء، كما لو أنَّه لا توجد أية نظم أمن مضادة للحريق، في المكان كله.

قال (مجدي) في اهتمام:

- ولكنها كلها كتب.. أوراق سريعة الاشتعال.

عاد الفني يهز رأسه، ويقول:

- ولو.. أين نظم الأمن الصناعي إذن؟! لقد عاينت يومًا حريقًا ضخمًا، في مطبعة كبرى، استغرق ما يقرب من الساعة، وعلى الرغم من هذا، كانت هناك بعض الكتب، التي لم يصبها التلف تمامًا؛ لأن أجهزة إطفاء الحريق غمرتها بالماء أو الرغوة المطفأة.

تلفت العقيد (مجدي) حوله، مغمغمًا:

- من الواضح أنهم لا يستخدمون هذه النظم هنا.

نهض الفني، قائلًا:

- مستحيل! كيف حصلوا على الترخيص إذن؟!

ثم أضاف في سرعة:

- إلا إذا..

سأله (مجدي) بسرعة أكبر:

- إلا إذا ماذا؟!

هز الفني رأسه، وتردَّد لحظة، قبل أن يقول في حذر:

- إلا إذا كان أحدهم قد تعمد ألا تعمل أجهزة إطفاء الحريق.

انعقد حاجبَا (مجدي) في شدة، وهو يسأله:

- هل تعني أن هذا الحريق متعمد؟!

تراجع الرجل، ولوح بكفه في ذعر، هاتفًا:

- أنا لم أقل هذا.. هذا قرار سابق لوقته، وليس من حقي حتى أن أتخذه.. لا بد من إتمام الفحص أولًا، و....

قاطعه (مجدي) في حدة:

- لست أسألك رأيًا رسميًّا يا رجل.

تلفت الرجل حوله في هلع، قبل أن يهمس:

- أتعني أنَّني لست مضطرًا لتكرار هذا أمام وكيل النيابة، أو القاضي، أو...

قاطعه (مجدي) بزمجرة عصبية، قائلًا:

- لستَ مضطرًا لأي شيء.

تلفت الرجل حوله مرة أخرى، ثم همس في انفعال:

- لو أردت رأيي الشخصي إذن، فهو حريق متعمد.

اعتدل (مجدي)، مغمغمًا في توتر:

- هكذا!!

مال الرجل على أذنه، مكملًا:

- أما بالنسبة للكتب، فلم تحترق كاملة.

هتف (مجدي) في غضب:

- ولكنك قلت: إن..

قاطعه الرجل في ذعر:

- اخفض صوتك بالله عليك.. إنَّني أقصد أن الكتب لم تكن كاملة، عندما تعرضت للحريق.

عاد حاجبا (مجدي) ينعقدان، وهو يتساءل في عصبية:

- ماذا تعني؟!

مال نحوه أكثر، وهو يلوح ببقايا غلاف أحمر محترق، وهو يجيب:

- لقد انتزعوا منه جزءًا مهمًا.

وانخفض صوته، وكأنما يخشى أن يسمع نفسه، وهو يضيف:

- الكعب.

واتسعت عينا (مجدي) عن آخرهما..

فقد كانت مفاجأة بحق..

مفاجأة جديدة..

ومدهشة..

***

من المؤكد أنَّه، وعلى الرغم من سنوات عمله في المحاماة، فإن (نديم فوزي) لم يفقد لياقته قط، كرجل شرطة سابق..

وكعقرب حالي..

فقد وثب عبر مكتبه، وركل مسدس (إدوارد) ركلة قوية، قبل أن يلقي الكتاب الأحمر بكل قوته، نحو حارس الأمن، الذي يمسك عم (أحمد)، في نفس اللحظة التي انزلقت فيها (غادة) بمرونة مدهشة، من يد الحارس الآخر، ثم دارت حول

نفسها في رشاقة، لتهوي بقبضتها على أنفه مباشرة..

وفي لحظة واحدة، ارتفعت تأوهات الحارس الثاني، مع تحطُّم أنفه، وانطلقت شهقة مكتومة من الحارس الأول، الذي أصاب الكتاب رأسه، وألقاه أرضًا في عنف..

وبكل الرعب تراجع عم (أحمد)، وانكمش في أحد الأركان، في حين دار (نديم) حول نفسه، ليركل الحارس الأول ركلة كالقنبلة في أنفه، ثم أخرى في معدته، في نفس اللحظة التي انقض فيها الحارس الثاني على (غادة)، وهو يطلق صرخة غاضبة وحشية..

وبنفس الرشاقة، انخفضت (غادة)، متفادية انقضاضة الحارس الثاني، وتركته يتجاوزها، ثم دارت حول نفسها، وركلته في ظهره بكل قوتها، فاندفع إلى الأمام، ليرتطم رأسه بحافة مكتب (نديم)، ثم يسقط أرضًا، وهو يطلق شخيرًا عجيبًا مختنقًا..

أما الحارس الأول، فقد تراجع مع ضربتي (نديم)، ثم عاد ينقضّ فجأة على (نديم)، ويكيل له لكمة عنيفة، تراجع معها (نديم) في حدة، وارتطم بالمحامي (إدوارد)، الذي كبل

ذراعيه من الخلف، صائحًا:

- هيا يا (جابر).. حطِّم عنقه.

هوت قبضة (جابر) بكل قوتها على عنق (نديم)، إلا أن هذا الأخير دفع جسده إلى الخلف بغتة، فاختل توازن (إدوارد)، وسقط معه أرضًا، فطاشت لكمة (جابر)، في نفس اللحظة التي ارتفعت فيها قدم (نديم)، لتركله في فكه ركلة قوية عنيفة، ألقته خلفًا، ليسقط على ظهره أرضًا، فاستقبلته (غادة) بركلة أخرى، هاتفة:

- هيا.. اسقط أيها الوغد.

انطلق من حلق (جابر) خوار كالثور، ثم انهار جسده فاقد الوعي، في نفس اللحظة التي انفلت فيها (نديم) من ذراعي (إدوارد)، ثم وثب يلتقط مسدس هذا الأخير، ويصوبه إليه، قائلًا:

- أعتقد أن اللعبة قد انتهت هنا يا سيد (إدوارد).

أدار (إدوارد) بصره بين رجليه الفاقدي الوعي، قبل أن

يقول في عصبية، وهو ينهض من سقطته:

- لو أنك تتصور أنك بهذا قد انتصرت، فأنت واهم.

ابتسم (نديم) في سخرية، وهو يقول:

- ولو أنك تتصور أنك عبقري، فهذا أكبر دليل على حماقتك، خاصة وقد خدعتك بجهاز إنذار بسيط، أوهمك بقدوم رجال الشرطة.

عدل (إدوارد) رباط عنقه، وهو يقول:

- خدعة طريفة يا سيد (نديم).. عيبها الوحيد هو أنَّه يستحيل تكرارها.

هز (نديم) كتفيه، قائلًا:

- ما زال في جعبتي الكثير.

مال (إدوارد) إلى الأمام، وهو يقول في صرامة غاضبة:

- وأنا أيضًا.

مع آخر حروف كلمته، ارتفع رنين هاتفه الخلوي بغتة، فالتقطه بحركة آلية، وقال في عصبية:

- (إدوارد).

أتاه صوت أحد رجاله في المطار، وهو يقول:

- سيد (إدوارد).. إنَّه أنا.. لقد وصل المبيد من (إيطاليا).

تألقت عينا (إدوارد)، وهو يهتف:

- وصل؟!

ثم اتسعت ابتسامة ظافرة كبيرة على وجهه، وهو يكمل:

- عظيم.. قل له إنَّني أريده أن يبدأ عمله فورًا.. وسيحصل على مكافأة سخية للغاية، لو أتمه بنجاح.

أنهى المحادثة، وأعاد الهاتف إلى جيبه، في نفس اللحظة

التي استعاد فيها حارساه وعيهما، فقال (نديم) في حذر:

- أراهن أنَّه خبر شرير، ذلك الذي أسعدك هكذا.

رمقه (إدوارد) بنظرة مستفزة، قائلًا:

- بالنسبة لي هو خبر ممتاز يا سيد (نديم).

ثم أشار إلى حارسيه، مستطردًا:

- أعتقد أنك لن تبلغ الشرطة بما حدث؛ لأن هذا يضعك أيضًا في دائرة التساؤل، خاصة وأن الكل رأى (العقرب) أمس، وهو ينصرف بنسخة الكتاب هذه، وهذا يعني أنَّه يمكننا أن ننصرف بكل هدوء.

قال (نديم) في صرامة:

- على ألا تعودوا مرة أخرى.

ثم انتزع خزانة مسدس (إدوارد)، وألقاها في سلة المهملات، وجذب مشط المسدس، ليفرغ الرصاصة المتبقية

في ماسورته، قبل أن يلقيه إليه، مستطردًا:

- المسدسان الآخران سنتخلص منهما بمعرفتنا.

قال (إدوارد) في سخرية:

- لا بأس.. لدينا العشرات مثلهما.

وأشار مرة أخرى إلى رجاله، واتجه ثلاثتهم نحو الباب، فهتف به (نديم) في صرامة:

- تذكروا ألا تعودوا هنا مرة أخرى.

ابتسم (إدوارد) في سخرية، قائلًا:

- من يدري؟! ربما اضطررنا للعودة..

ثم استدار يتطلع إلى عيني (نديم) مباشرة، مستطردًا:

- للتعزية.

قالها، وأطلق ضحكة ساخرة عالية، وهو ينصرف مع حارسيه، فهتف عم (أحمد)، في ارتياع مستنكر:

- ألن تبلغ الشرطة حقًّا؟!

ابتسم (نديم)، قائلًا:

- لا تقلق نفسك بهذا يا عم (أحمد).. هيا.. انس أمر القهوة، وسنكتفي بكوبين من النعناع الساخن لتهدئة أعصابنا.

حدق الشيخ في وجهه لحظة، ثم لم يلبث أن هز كتفيه في استسلام، مغمغمًا:

- يا للشباب!

ابتسم (نديم)، وسأل (غادة):

- أأنتِ بخير؟!

أشارت بيدها، قائلة:

- لم أكن أبدًا أفضل، ولكن هل تعلم ما الذي يعنيه ما حدث الآن؟!

انحنى يلتقط الكتاب الأحمر الملقى أرضًا، وهو يجيب:

- أهم ما يعنيه هو أن (رشاد السلباوي) مجرد واجهة لأمر إجرامي رهيب، يديره فعليًا ذلك الذئب (إدوارد)، و...

بتر عبارته بغتة، عندما انفصل كعب الكتاب بين أصابعه على نحو مفاجئ، فرفعه يحدق فيه، قبل أن يهتف:

- رباه! من كان يتصور هذا؟!

اندفعت (غادة) نحوه، قائلة:

- ماذا وجدت؟!

ولم تكد تتطلع إلى كعب الكتاب، الذي يحمله في يده، حتى سرت في جسدها كله ارتجافة قوية..

فقد كان ما تراه مدهشًا، وغير متوقع..

على الإطلاق..

***

-٧-

اغتيال

فرك (رشاد السلباوي) كفيه، بكل توتر الدنيا، وهو يتحرك في مكتبه بعصبية بالغة، قائلًا:

- إذن فقد تركتم الكتاب هناك، على الرغم من كل ما حدث.

أجابه (إدوارد)، في هدوء صارم:

- لم يكن هناك حل آخر.

لوح (رشاد) بذراعه، هاتفًا:

- إنّها كارثة.. كارثة بكل المقاييس.. لو كشفوا الموجود في كعب الكتاب، سنـ...

قاطعه (إدوارد) في صرامة قاسية:

- لا تقلق نفسك بهذا.

صاح (رشاد) في ثورة:

- لا أقلق نفسي بهذا؟! أي قول أحمق سخيف هذا يا (إدوارد)!! كلانا يعلم أن الشحنة واردة باسمي واسم شركاتي، وأن المسئولية المباشرة..

هب (إدوارد) من مقعده بحركة حادة، قائلًا في صرامة:

- أية مسئولية؟! أنت تعلم أن رجالنا يتولون الأمر كله منذ البداية، وأنني هنا، بكل خبراتي وبراعتي القانونية، لحمايتك، وتأمينك، وضمان عدم وجود أي ثغرة، يمكن أن ينفذ منها، القانون المصري إليك.

ثم مال نحوه، وبدت ملامحه شيطانية شرسة، وهو يضيف، متطلعًا إلى عيني (رشاد) مباشرة:

- إنَّها مليارات الدولارات، ولن نتركها حتمًا دون حماية قوية.

غمغم (رشاد) بصوت مرتجف:

- وماذا لو كشفوا الـ...

قاطعه (إدوارد) بشراسة أكثر:

- لن يكشفوا شيئًا.. لقد انتزعنا كل ما نريده، من تلك الموسوعات السخيفة، ثم أحرقناها كلها.

ازدرد (رشاد) لعابه في صعوبة، وغمغم:

- هناك نسخة لدى ذلك (العقرب).

تألقت عينا (إدوارد)، وتراجع قائلًا بلهجة مخيفة:

- هذا لا يهم أيضًا، فبعد دقائق قليلة، لن يكون هناك وجود لذلك (العقرب)، أو للمحامي (نديم فوزي)..

حدق (رشاد) في وجهه، متمتمًا:

- هل.. هل..

تابع (إدوارد)، وهو يشعل سيجارًا ضخمًا، وكأنما لم يسمعه:

- فقد استوردت له مبيدًا إيطاليًّا خاصًّا، يجيد عمله بمهارة المحترفين.

ردَّد (رشاد)، في حذر متوتر:

- مبيد؟!

تألقت عينا (إدوارد)، وهو يقول:

- نعم.. مبيد يُدعى (ماريو).

قالها، ثم أطلق ضحكة طويلة ممطوطة..

ضحكة شيطان..

حقيقي..

***

حفرت الدهشة خطوطها العريضة، على وجه (غادة)، وهي تحدق في تلك القطع المتلألئة الصغيرة، التي تناثرت من كعب الكتاب الأحمر الفاخر، قبل أن تهتف:

- ماس؟!

أجابها (نديم) في انفعال، وهو يلتقط الماسات في حرص:

- نعم يا عزيزتي.. هذا ما تخفيه كعوب شحنة الموسوعات الفاخرة.. الماس.. الماس الثمين.

هتفت بدهشة أكبر:

- ولكن كعب هذا الكتاب وحده يحوي ست ماسات، ولو افترضنا أن هذا هو متوسط محتوى كل نسخة، من شحنة الموسوعات، فنحن أمام..

قاطعها مكملًا بنفس الانفعال:

- مليارات الدولارات يا (غادة)..

ثم اعتدل، وتألقت عيناه بشدة، وهو يضيف:

- من الواضح أنَّنا أمام أضخم عملية غسيل أموال قذرة، في العالم كله.

ردَّدت مبهورة:

- مليارات الدولارات؟! يا إلهي؟!

ثم أمسكت ذراعه في قوة، مستطردة:

- (نديم).. لا بد أن نبلغ اللواء (حلمي).. فورًا.

التقى حاجباه، وهو يقول في حزم:

- سنبلغه بالتأكيد.

وصمت لحظة، ثم أضاف بصرامة أكثر:

- ولكن ليس الآن.

سألته في دهشة عصبية:

- ولم لا؟!

أجابها، وهو يضع الماسات في علبة صغيرة، دسها في جيبه:

- إنهم يدركون أنَّنا نستطيع كشف أمرهم، ولو بالمصادفة البحتة، كما حدث الآن، ومن المؤكد أن حريق المخازن مجرد خطوة في خطة واسعة، تهدف إلى محو كل أثر لعملياتهم، ولو أبلغنا اللواء (حلمي) الآن، فلن يجد دليلًا واحدًا، يمكنه إدانة فرد واحد منهم به..

قالت في إصرار:

- ولكن من الضروري أن يعرف.

شرد ببصره لحظات، ثم أجابها في حسم:

- اللواء (حلمي) رجل شرطة، حتى ولو تعامل بمرونة في هذه القضية، فهو لن يخفي أمرًا على القيادات العليا، التي

ستتحرك حتمًا في سرعة، وربما أفسد تحركها الأمر كله، وبخاصة مع ثعلب شرس مثل (إدوارد).

سألته في عناد:

- وماذا لو أخبرناه، وطلبنا منه إخفاء الأمر، عن القيادات العليا؟!

هز كتفيه، وأجاب بنفس البصر الشارد:

- ولماذا نضغط على مشاعره وأعصابه دون مبرر؟!

هتفت:

- ليمد لنا يد العون على الأقل.

انتزعته عبارتها الأخيرة من شروده، وجعلته يلتفت إليها، قائلًا:

- خطأ.

تراجعت بدهشة، فاستطرد في صرامة:

- في عملية ضخمة كهذه، لا ينبغي أبدًا أن تنتشر الأخبار، أو أن نبلغ فردًا واحدًا، يزيد عن الحد الأدنى المحتم للقيام بها؛ فلا يمكنكِ أبدًا ضمان عدم وجود خائن ما بين الصفوف.

هتفت مستنكرة في انزعاج:

- صفوف الشرطة؟!

أجابها في سرعة:

- الشرطة ليست كلها جنود وضباط.. ثم إن العاملين فيها مجرد بشر، وليسوا ملائكة، وغسيل مليارات الدولارات، يستلزم إنفاق الملايين، لتأمين العملية، وربما ضعفت نفس البعض، أمام إغراء تلك الأرقام الهائلة، فتتحول إلى عين للمجرمين، في قلب جهاز الشرطة.

بدا عليها الذعر، فاستدرك بسرعة:

- مجرد احتمال.

غمغمت في عصبية:

- يفزعني مجرد التفكير فيه.

قال في حزم:

- لا ينبغي إهمال أية احتمالات، في عملية كهذه.

تطلعت إليه لحظة في صمت، ثم لوحت بذراعيها، في توتر، متسائلة:

- ما الذي سنفعله إذن؟!

عاد (نديم) إلى شروده بضع لحظات، قبل أن يجيب في حزم:

- هذه الخطوة تحتاج إلى (العقرب).

سألته في توتر:

- وما الذي يمكن أن يفعله (العقرب) هذه المرة؟!

استدار إليها، مجيبًا:

- الكثير.

حدقت في وجهه لحظة، قبل أن تهز رأسها في قوة، ثم تتجه إليه، قائلة:

- اسمع يا (نديم).. هذه المرة تـ...

لم تكن قد أتمت عبارتها بعد، عندما لمح هو ذلك الوميض، عبر الشارع، من البناية العتيقة المقابلة..

وقبل حتى أن يستوعب عقله معناه ومغزاه، تحطمت النافذة بغتة..

وانطلقت صرخة (غادة) عالية..

وتناثرت الدماء في حجرة مكتب (نديم)..

وبعنف..

***

«ما الذي يثير توترك إلى هذا الحد أيها العقيد؟!»

ألقى اللواء (حلمي) سؤاله هذا في هدوءٍ شديدٍ، ضاعف من توتر العقيد (مجدي)، وهو يقول في عصبية:

- الأمر كله أعجز عن فهمه يا سيادة اللواء.. فبغض النظر عن الآراء الشخصية، نحن نعتبر (العقرب) مجرمًا خارجًا عن القانون، والمفترض أن نسعى للإيقاع به، وكشف أمره، لا أن نهرع لإنقاذه، من كل مأزق يقع فيه.

أخفى اللواء (حلمي) ابتسامته بصعوبة، وهو يقول:

- حسبما أذكر، وحسبما تقول الأوراق الرسمية، لا يوجد أي أمر من النيابة أو القضاء، بضبط وإحضار هذا (العقرب).

قال (مجدي) في حدة:

- أمر طبيعي؛ لأنه لا يوجد عمليًا ورسميًا شخص يُدعى (العقرب) وكلنا نعلم أنَّه اسم مستعار، يتخذه ذلك المحامي

الفاشل (نديم فوزي)، عندما يضع قناعه السخيف، ويخرج لمحاربة الجريمة، متصورًا أنَّه (زورو) أو (باتمان).

مال اللواء (حلمي) إلى الأمام، وهو يسأله في رصانة هادئة:

- هل يوجد رسميًا، ما يثبت أن (نديم فوزي) هو (العقرب)؟!

قال (مجدي) في عصبية:

- هذا ما نسعى لإثباته.

تراجع اللواء (حلمي) في مقعده، وقال:

- عظيم.. وإلى أن نثبته، سيظل (نديم فوزي) شخصًا مسالمًا بريئًا، لا يمت لأدنى صلة بالعقرب.

هتف (مجدي) في حنق:

- أي عبث قانوني هذا؟!

ابتسم اللواء (حلمي)، على الرغم مما في أسلوب (مجدي) من تجاوز، وقال في هدوء:

- نفس العبث القانوني، الذي يسعى (العقرب) لتجاوزه، وهو يوجه خصومه، الذين يحتمون بثغرات وفجوات القانون.

أدرك (مجدي) ما يعنيه اللواء (حلمي)، فتراجع برأسه، ورفعه مع شد قامته، وهو يقول في اعتداد صارم:

- القانون هو القانون.

هز اللواء (حلمي) كتفيه، وقال:

- بالتأكيد.

ثم واصل في سرعة، وكأنما يسعى لتجاوز هذا الموقف:

- قل لي ما الذي انتهى إليه تقرير البحث الجنائي، حول حريق مخازن (رشاد السلباوي)؟!

نجح أسلوبه في تحويل دفة الحديث؛ فقد قال (مجدي) في توتر:

- إنَّه حريق متعمد.

أومأ اللواء (حلمي) بكتفيه، مغمغمًا:

- أمر متوقع.

أضاف (مجدي):

- ولقد انتزعوا كعوب الكتب قبل إحراقها.

التقى حاجبا اللواء (حلمي)، وهو يقول في توتر:

- كعوب الكتب؟!

ورفع يده إلى ذقنه، وهو يفكر في هذه النقطة في عمق، و(مجدي) يقول:

- كانوا يخفون شيئًا ما فيها حتمًا.

أشار اللواء (حلمي) بسبابته، قائلًا في اهتمام شديد:

- السؤال هو: ما هذا الشيء؟! ما الذي أخفوه في كعوب الكتب، ونجحوا في تهريبه إلى البلاد؟

غمغم (مجدي) في حذر:

- مَن يدري؟!

نهض اللواء (حلمي) من خلف مكتبه، وهو يشير إلى رأسه، قائلًا:

- الأمر يحتاج إلى معادلة منطقية، فلو أن (رشاد السلباوي) مجرد واجهة لمنظمة خطيرة، تسعى لغسيل أموالها القذرة لدينا، فمن المؤكد أن ما حوته كعوب الكتب كان شيئًا صغير الحجم، غالي الثمن في الوقت ذاته، والشيء الوحيد، الذي يمكن أن تنطبق عليه هذه الصفة هو الـ...

قاطعه رنين هاتفه المباغت، فالتقط سماعته بحركة آلية، وقال في شيء من التوتر:

- اللواء (حلمي).

انعقد حاجباه في شدة، وهو يستمع إلى محدثه، قبل أن يقول في عصبية، بلغت حدًّا عجيبًا:

- سنحضر فورًا.

هتف (مجدي)، في فضول متوتر، لم يستطع كبحه:

- ماذا حدث؟!

التفت إليه اللواء (حلمي) بوجه شاحب ممتقع، قبل أن يقول في ارتياع واضح:

- (نديم) و(غادة) تم اغتيالهما.

واتسعت عينا (مجدي) عن آخرهما..

فعلى الرغم من اعتراضه على أسلوب (نديم)، كان الخبر بالنسبة إليه صدمة..

صدمة عنيفة..

للغاية..

***

-٨-

استيراد.. وتصدير

لم يكد الهاتف المحمول الخاص بالمحامي (إدوارد) ينطلق، حتى التقطه هذا الأخير في سرعة، ووضعه على أذنه، قائلًا:

- كيف الحال؟!

أتاه صوت خشن جاف، يقول بالإيطالية:

- المهمة انتهت، تمت إبادة الهدف بنجاح.

تألقت عينا (إدوارد) في نشوة، وهو يقول بالإيطالية أيضًا:

- رائع.. غادر موقعك فورًا يا (ماريو).. الشرطة المصرية تتحرك بسرعة، في مثل هذه الحوادث.. نفذ فورًا.

قال (ماريو)، بصوته الخشن الجاف:

- ماذا عن السيارة؟!

أجابه في سرعة وانفعال:

- ستنتظرك في الموقع المتفق عليه.. ولا تنس أن تترك البندقية ذات المنظار خلفك.

غمغم (ماريو):

- بالتأكيد.

أضاف (إدوارد) في صرامة:

- اللحية والجلباب الأبيض أيضًا لهما أهمية بالغة، هل تفهم؟!

صمت (ماريو) لحظة، قبل أن يقول في خشونة أكثر جفافًا:

- هذا أسخف أمر، في العملية كلها.

أجابه (إدوارد) في صرامة شراسة:

- نفذ الأوامر، لتتقاضى أجرك كاملًا.

غمغم (ماريو):

- فليكن.

ثم أنهى المحادثة في عنف أحنق (إدوارد)، وجعل (رشاد) يتساءل في عصبية:

- هل.. هل اغتالهما؟!

رمقه (إدوارد) بنظرة ازدراء، وتجاهل تساؤله تمامًا، وهو يضغط أزرار هاتفه المحمول في سرعة، ثم يقول:

- (جابر).. إنَّه أنا.. المبيد الإيطالي أنهى مهمته.. اعملوا على استعادة كتابنا فورًا.

لم يكد ينهي الاتصال، حتى قال (رشاد) في حدة:

- أسلوب التجاهل هذا لا يناسبني قط.

استدار إليه (إدوارد)، متسائلًا في برود:

- ما الذي يناسبك إذن؟!

صاح في غضب:

- أريد معرفة ما يحدث.

أدار (إدوارد) جسده كله إليه، وقال في صرامة جافة:

- الأمر ببساطة أن المبيد، الذي استوردناه من (إيطاليا)، قد أتم مهمته بنجاح، وقام بتصدير الطردين إلى الجحيم مباشرة.

لوح (رشاد) بذراعه، هاتفًا:

- مبيد، واستيراد، وتصدير، وجحيم.. أشعر وكأنني جزء من منظمة إجرامية ضخمة.

رمقه (إدوارد) بنظرة نارية، وهو يقول:

- أنت كذلك بالفعل.

امتقع وجه (رشاد)، وكأنما باغته الجواب، وارتعدت ساقاه، مما جعله يأوي إلى أقرب مقعد إليه، وهو يغمغم في شحوب:

- هذه الأمور لن تمضي على خير أبدًا.

أجابه (إدوارد) في صرامة:

- هذه الأمور تمضي على خير ما يرام.. لقد جعلت منك مليونيرًا، وأحد رجال الأعمال المعدودين في (مصر)، ومنحتك الكثير دون عمل.

انتفض (رشاد)، هاتفًا:

- دون عمل؟! إن كل ما تفعلونه يحمل اسمي يا رجل.. كل المسئولية المدنية والجنائية أحملها على كاهلي وحدي!

قال (إدوارد) في حدة:

- وتحصل على مقابل رهيب لهذا.

صاح (رشاد):

- وماذا لو انقلبت الأمور؟!

أجابه بكل صرامة:

- لن تنقلب.

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفع رنين هاتفه المحمول مرة أخرى، فالتقطه في عصبية، قائلًا:

- من المتحدث؟!

انعقد حاجباه بغتة بشدة، واحتقن وجهه حتى كادت تنفجر منه الدماء فهتف (رشاد) في ارتياع:

- ماذا هناك؟!

حدق فيه (إدوارد) بعينين زائغتين، دون أن ينطق بحرف..

حرف واحد..

فبالنسبة إليه كانت المفاجأة عنيفة..

ومذهلة..

بشدة..

***

لم يكد (جابر) يتلقى أمر المحامي (إدوارد)، حتى هتف بزميله:

- هيا.. سنستعيد مالنا.

اندفع الاثنان يصعدان إلى حيث مكتب (نديم)، وهتف (جابر)، عندما بلغا الطابق المنشود:

- تولَّ أنت أمر عامل المكتب، وسأستعيد أنا الكتاب.

اقتحما المكتب في عنف، وهما يحملان سلاحيهما..

ولكن عم (أحمد) لم يكن هناك..

كان باب المكتب مفتوحًا، ولا أثر فيه للشيخ، في حين كانت ساق (غادة) تبدو واضحة، على أرضية حجرة مكتب (نديم)، وحولها بقع من الدم، فهتف الرجل الآخر:

- أين ذهب ذلك المأفون؟!

أجابه (جابر)، وهو يندفع نحو حجرة مكتب (نديم):

- أصابه الرعب وفرَّ هاربًا حتمًا.. دعك منه الآن.. ينبغي أن نتم مهمتنا هنا قبل عودته.

كانت الحجرة تحمل آثار ما حدث في وضوح عندما اقتحماها، فقد كان زجاج النافذة محطمًا، والدماء متناثرة في كل مكان، و(غادة) ملقاة أرضًا، مع بقعة كبيرة من الدم في ظهرها، و...

«أين المحامي؟!»

هتف زميل (جابر) بالعبارة في دهشة مذعورة، وهو يحدق في أرضية الحجرة، ولم يكد يفعل، حتى انبعث من خلف الباب صوت صارم غاضب، يقول:

- هنا.

استدار الرجلان بسلاحيها إلى مصدر الصوت بحركة سريعة.. ولكنها لم تكتمل أبدًا..

فقبل أن يكمل الأول التفاتته، كانت قبضة (نديم) تحطم أنفه بلكمة كالقنبلة، دفعته إلى الخلف في عنف، في نفس اللحظة التي انقضَّ فيها (نديم) على (جابر)، بكل عنف وغضب الدنيا، هاتفًا:

- أيها الأوغاد.

أراد (جابر) أن يرفع فوهة سلاحه..

أو أن يفعل أي شيء..

ولكن الغضب الذي يملأ نفس (نديم)، بعد إصابة زميلته

(غادة)، كان قد حوله إلى وحش كاسر وأسد هصور، لا يمكن لأي قوة في الأرض أن تعترضه أو توقفه..

وهذا ما شعر به (جابر)، عندما تلقى لكمة في معدته وكادت تقذف أحشاءه خارج حلقه، مع تلك الشهقة التي أطلقها، وهو ينثني على نفسه، قبل أن تتحكم أسنانه بلكمة أخرى أكثر عنفًا، انتزعته من مكانه، وألقته مترين كاملين إلى الخلف، ليرتطم بالجدار، ثم تستقبله لكمة أخرى في أنفه، تفجرت معها الدماء لتغرق كل وجهه وغامت بعدها الدنيا أمام عينيه، وحاول أن يندفع إلى الأمام، أو أن يضرب أي هدف عشوائي بقبضتيه، لولا أن ارتطم فكه بلكمة جديدة، أسقطته أرضًا فاقد الوعي..

وفي نفس لحظة سقوطه، نهض زميله مترنحًا، واستعاد مسدسه، وهو يهتف في ثورة:

- أيها الـ..

قبل أن يتم عبارته، اضطر مرغمًا لابتلاع ثلاث من أسنانه، حطمتها قبضة (نديم)، ودفعتها نحو حلقه، قبل أن يجذبه هذا الأخير من شعره، ويندفع به عبر الحجرة؛ ليضرب رأسه

بالجدار، بكل ما يملأ جسده من قوة وبأس..

وسقط الرجل أرضًا، مع دوي أبواق سيارة الإسعاف وسيارات الشرطة، التي تهرع إلى المكان، فالتقط (نديم) من ثلاجة حجرته الصغيرة زجاجة من الماء البارد، وسكبها كلها على رأس (جابر)، الذي انتفض في عنف، وهتف في ألم وذعر شديدين:

- ما الذي....

قبل أن يتم عبارته، جذبه (نديم) من شعره في قسوة، وسأله:

- من فعل هذا؟!

هز (جابر) رأسه لحظة، فتلقى قنبلة أخرى في معدته، جعلته يبصق الدم مع شهقته، قبل أن يكرر (نديم) سؤاله، بكل صرامة الكون:

- أعلم أنَّها أوامر ذلك الحقير (إدوارد)، ولكن من فعلها؟! من قام بالتنفيذ؟!

تعالى وقع أقدام رجال الشرطة والإسعاف على سلالم المبنى، مع لهاث (جابر)، وهو يجيب:

- لستُ أدري.. إنَّه شخص أجنبي.

سأله (نديم) في قسوة، وهو يلوح بقبضته:

- وما هي جنسيته؟!

لهث (جابر) على نحو أكثر عنفًا، وهو يقول، محاولًا حماية وجهه:

- إيطالي على الأرجح.

ثم هتف في ذعر وألم:

- أقسم أن هذا كل ما أعرفه.

هوى (نديم) على فكه بلكمة خطافية سفلية، وهو يقول:

- وهذا كل ما أردت معرفته.

في نفس اللحظة، التي سقط فيها (جابر) فاقد الوعي مرة أخرى، والتي التقط فيها (نديم) هاتفه المحمول من حزامه، اندفع رجال الشرطة والإسعاف إلى المكان، وخلفهم عم (أحمد) يهتف في ارتياع:

- أسرعوا بالله عليكم.. أسرعوا..

اعتدل (نديم)، ودسّ هاتف (جابر) في جيبه، قائلًا:

- أسرعوا.. إنَّها مصابة، وتحتاج إلى إسعاف عاجل.

حدق عم (أحمد) في وجهه، هاتفًا:

- أستاذ (نديم).. حمدًا لله.. لقد تصورت أن....

أجابه (نديم)، قبل أن يتم عبارته:

- الرصاصة اخترقت جسد (غادة)، وجرحت ذراعي فحسب، يا عم (أحمد).

هتف به أحد رجال الإسعاف:

- الدماء تغرق ذراعك.. إنك تحتاج إلى إسعاف.

قال (نديم) في صرامة:

- (غادة) أولًا.

سأله أحد رجال الشرطة في توتر:

- ماذا حدث بالضبط؟!

أشار (نديم) إلى النافذة المحطمة، وهو يتابع حركة رجال الإسعاف، الذين ينقلون (غادة) إلى محفتهم، قائلًا:

- يبدو أنَّه حتى الأساليب الأجنبية يتم استيرادها هذه الأيام.

ثم أدار عينيه على رجل الشرطة، مضيفًا في حنق:

- إنَّه قاتل محترف.

اتسعت عينا رجل الشرطة، وهو يهتف:

- قاتل محترف؟!

أجابه (نديم) في توتر، وهو يشير إلى النافذة مرة أخرى:

- ألديك تفسيرٌ آخر؟!

حدق ضابط الشرطة في النافذة المحطمة، قبل أن يندفع نحوها، ويفحص ما أصابها، ثم يتطلع إلى المبنى المقابل، قائلًا في صرامة:

- هذه الأساليب لا تصلح هنا، ولو أنهم....

كان يلتفت إلى (نديم)، وهو يتحدث إليه، فبتر عبارته دفعة واحدة، وهو يدير عينيه في الحجرة، متسائلًا في حيرة:

- أين السيد (نديم)؟!

في نفس اللحظة، التي انطلق فيها تساؤله، كان (نديم)

يهبط درجات السلم، وهو يلتقط من جيبه هاتف (جابر) المحمول، ويضغط رقم (إدوارد) في سرعة، ولم يكد يسمع صوت هذا الأخير، حتى قال في لهجة قاسية، صارمة، مخيفة:

- (العقرب) يرسل تحياته أيها الوغد.. قاتلك الحقير لم ينجح في إتمام مهمته.. حاول أن تحيط نفسك بكل حراسة الدنيا؛ لأنني قادم إليك لأحطمك.

ثم أنهى المحادثة، وألقى هاتف (جابر) بعيدًا، وقد امتلأت نفسه بهدف واحد..

الثأر..

وبمنتهى العنف..

***

انتزع (ماريو) تلك اللحية المستعارة، التي أجبره (إدوارد) على ارتدائها، وألقاها بعيدًا في حدة، هاتفًا:

- لستُ أدري ما الداعي لكل هذه السخافات؟!

أجابه (إبراهيم)، أحد رجال (إدوارد):

- السيد (إدوارد) بعيد النظر، وما دام قد أمرك بهذا، فلديه أسبابه حتمًا.

سأله (ماريو)، وهو يخلع الجلباب الأبيض، ويلقيه بعيدًا بدوره:

- أين هو.. لدينا أمور ينبغي أن نحسمها.

أشار (إبراهيم) بيده، قائلًا:

- إنَّه في انتظارك، ولقد أمر برفع درجة الأمن إلى الحد الأقصى.. يبدو أن الأمور لا تسير على النحو المطلوب.

مطَّ (ماريو) شفتيه، مغمغمًا:

- كنت أتصور العكس تمامًا.

وعلى الرغم مما أخبره به (إبراهيم)، شعر (ماريو) بدهشة حقيقية، عندما استوقفه رجال الأمن ثلاث مرات؛ للتحقق من هويته، خلال الأمتار القليلة، التي قطعها، حتى مكتب (رشاد السلباوي)؛ لذا فلم يكد يلمح (إدوارد) داخله، حتى هتف في حدة وعصبية:

- ألا يبدو لكم أنكم تبالغون في نظم الأمن كثيرًا، أيها المصريون؟!

أجابه (إدوارد) في حدة:

- كل هذا بفضلك، أيها الإيطالي الفاشل.

تسمر (ماريو) في مكانه، وهتف بمزيج من الدهشة، والغضب، والاستنكار:

- فاشل؟! أنا؟!

صاح به (إدوارد):

- نعم.. لقد فشلت في اغتيال خصمنا، وجعلته ينطلق خلفنا

كالمسعور.

هتف (ماريو) في حدة:

- أنا لم أفشل.. لقد أطلقت عليه النار، وزميلته اعترضت طريق الرصاصة في اللحظة الأخيرة.

صاح (إدوارد):

- أرأيت؟!

أشار (ماريو) إلى صدره، وهو يهتف في غضب:

- ولكنني محترف يا سنيور (إدوارد).. محترف يدرك جيدًا ما يفعله.. لقد اخترقت رصاصة بندقيتي جسدها، ثم عبرته إلى جسده.. تلك البندقية التي استخدمتها بعيدة المدى، ورصاصاتها قادرة على اختراق أقوى الدروع، و...

قبل أن يتم عبارته، انبعث رنين هاتف (إدوارد) المحمول، فالتقطه هذا الأخير بحركة آلية، قائلًا في عصبية:

- من هناك؟!

أتاه صوت أحد رجال أمن الشركة، وهو يقول في توتر:

- سيد (إدوارد).. هناك رجل شرطة يصر على مقابلتك فورًا.

ردد (إدوارد) في عصبية أكثر:

- مقابلتي أنا؟!

أجابه الحارس في حزم:

- شخصيًّا.

صمت (إدوارد) بضع لحظات، محاولًا السيطرة على عصبيته وتوتره، قبل أن يسأل الحارس في حدة:

- هل تأكدت من هويته؟! أعني أهو ضابط شرطة بالفعل.

أجابه الحارس في سرعة:

- إنَّه يحمل بطاقة هوية صحيحة..

ثم استدرك:

- ويعلم أنَّك هنا.

زفر (إدوارد) في توتر، وهو يقول بعصبية زائدة:

- فليكن.. سألتقي به.

وأغلق هاتفه المحمول، وهمَّ بوضعه في جيبه، عندما عاودته شكوكه فجأة، فعاد يضغط أزراره، ليسأل الحارس بنفس العصبية:

- ذلك الشرطي.. هل...

قاطعه الحارس في سرعة، متصورًا أنَّه قد فهم ما يقصده:

- لقد سمحنا له بالدخول يا سيد (إدوارد).

صاح به (إدوارد) في حنق:

- اسمه أيها الغبي.. ما اسمه؟

راجع الحارس أوراقه في سرعة، قبل أن يجيب:

- (نديم) يا سيد (إدوارد).. (نديم فوزي).

اتسعت عينا (إدوارد)، في شيء من الارتياع، وهو يهتف:

- يا للشيطان! إنَّه هنا.

سأله (ماريو) في توتر:

- ماذا تقول؟! وجهك وصوتك يوحيان بحدوث أمر جلل.

تجاهله (إدوارد) تمامًا، وهو يهتف عبر الهاتف المحمول:

- إنَّه ضابط شرطة زائف أيها التعس.. أغلق أبواب المبنى كلها، ولا تسمح لأي مخلوق بالخروج، واضغط زر صفارة الطوارئ فورًا.. هل تفهم؟!

ضغط الحارس الزر على نحو غريزي، وهو يهتف في انفعال:

- كما تأمر يا سيد (إدوارد).. كما تأمر.

مع انطلاق صفارة الطوارئ، في المبنى كله، استل (ماريو) مسدسه بحركة غريزية، وهتف في توتر شديد:

- ماذا حدث؟!

أجابه (إدوارد) بالإيطالية:

- الهدف، الذي فشلت في تصديره في المرة الأولى، أتى بقدميه إليك هنا.

تألقت عينا (ماريو) في وحشية، وهو يقول:

- حقًّا؟! سيروق لي كثيرًا أن أعيد الجولة، بأسلوب جديد..

ضغط (إدوارد) عدة أزرار على مكتبه، وهو يقول في انفعال:

- ولن تكون وحدك.

وبأوامر قصيرة محدودة، تحول رجال الأمن، في المبنى كله، بقيادة القاتل الإيطالي المحترف (ماريو)، إلى فرقة قنص، تنشد فريسة واحدة..

(العقرب)..

وبأي ثمن..

***

-٩-

حماية

انعقد حاجبا اللواء (حلمي) في شدة، وهو يستمع إلى العقيد (مجدي) في اهتمام، قبل أن يحك ذقنه بسبابته، مغمغمًا في شيء من التوتر:

- شخص ملتح، يرتدي جلبابًا أبيض؟! ما الذي يحالون الإيحاء به بالضبط؟!

أجابه (مجدي) في سرعة:

- إن محاولة اغتيال (نديم) ترتكز على سبب عقائدي محض.

تطلع إليه اللواء (حلمي) مباشرة، وهو يقول:

- وهل يبدو لك هذا منطقيًّا؟!

هز (مجدي) رأسه في قوة، قائلًا:

- مطلقًا.

ثم شد قامته، في وقفة عسكرية قوية، وهو يضيف:

- صحيح أنَّني أختلف مع (نديم)، منذ كنا زميلين في الشرطة، ولكنني أعلم جيدًا أنَّه ما من سبب منطقي، لمحاولة اغتياله لسبب عقائدي.

نهض اللواء (حلمي) من خلف مكتبه، وهو يقول في حزم:

- أضف إلى هذا أن البندقية، التي تركها القاتل خلفه، من طراز غير مألوف هنا، واستخدامها أيضًا ليس بالأمر المألوف، بالنسبة لتلك الجماعات أو غيرها.

وتوقف ببصر شارد، ليضيف:

- إنَّني أشتم من هذا رائحة أجنبية.

ردد (مجدي) في حذر:

- أجنبية؟!

لم يجب اللواء (حلمي) تساؤله الحذر هذا، وهو يواصل الشرود ببصره وأفكاره بضع لحظات أخرى، قبل أن يلتفت إليه، ويسأله فجأة:

- أين (نديم) الآن؟!

لوح (مجدي) بيده، مجيبًا في شيء من العصبية:

- لقد اختفى، في أثناء معاينة رجالنا لمسرح الجريمة، على الرغم من أنَّه مصاب في ذراعه.

سأله اللواء (حلمي) في توتر:

- وماذا عن (غادة)؟!

أجابه في أسف:

- إصابتها خطيرة كما يقولون، وهي الآن في حجرة العمليات بالفعل، فالرصاصة اخترقت ظهرها، ونفذت من

صدرها، وهناك احتمال أن:

قاطعه اللواء (حلمي)، متسائلًا في اهتمام بالغ:

- أين يمكن أن نجد (نديم) في رأيك؟!

تضاعف حذر (مجدي)، وهو يجيب:

- وكيف لي أن أعرف؟!

أشار اللواء (حلمي) بيده، قائلًا:

- إنَّنا رجال شرطة، والمفترض أن نكتسب القدرة على استنتاج ما لا نراه بأعيننا.

غمغم (مجدي):

- بالتأكيد؟!

تابع اللواء (حلمي) في اهتمام:

- على الرغم من كل ما حاولوا الإيحاء لنا به، فكلانا يعلم أن (نديم) يستهدف (رشاد السلباوي) هذه المرة.

شعر (مجدي) بانفعال جارف، يسري في عروقه، وهو يقول في تحفز متوتر:

- بافتراض أنَّه (العقرب)..

تجاهل اللواء (حلمي) العبارة تمامًا، وهو يتابع:

- وتحرياتنا تؤكد أن (رشاد) على علاقة ببعض المنظمات غير الشرعية، في الولايات المتحدة الأمريكية و(إيطاليا)، و(نديم) يعلم هذه الحقيقة أيضًا.

تساءل (مجدي) بنفس الانفعال:

- وكيف عرفها؟!

مرة أخرى تجاهله اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- الأسلوب الذي تمت به محاولة اغتيال (نديم)، هو أسلوب

قاتل محترف، وهذا يقودنا إلى احتمال تورط (رشاد)، أو محاميه الداهية (إدوارد)، في تلك المحاولة.. وسقوط (جابر)، رجل الأمن بمبنى (السلباوي)، يمنحه الدليل القاطع على هذا.

غمغم (مجدي)، في انفعال شديد:

- سيادة اللواء، يلوح لي أن...

قاطعه اللواء (حلمي)، وهو يلتفت إليه مرة أخرى، مكملًا:

- ضع نفسك إذن مكان (نديم)، وأنت تعلم كل هذا، ثم تصاب زميلتك إصابة قاتلة أمام عينيك.. ما الذي تسعى إليه عندئذ؟

بذل (مجدي) جهدًا خطيرًا؛ للسيطرة على أعصابه، وهو يجيب:

- الانتقام.

هتف اللواء (حلمي)، في توتر بالغ:

- بالضبط.

ثم أمسك ذراعي (مجدي) في شدة، هاتفًا:

- يا إلهي! لا بد أن نسرع يا (مجدي).. لا بد أن نتحرك بأقصى سرعة؛ لو أردنا ألا نفقده.

هتف (مجدي)، في عصبية شديدة:

- نفقد من؟!

أجابه اللواء (حلمي)، وهو يندفع نحو باب حجرة مكتبه:

- سلاحنا السري يا رجل.. (نديم).. (نديم فوزي).

ومرة أخرى، تفجر انفعال جارف في أعماق (مجدي)..

فكل شيء من حوله كان يحمل ألف علامة استفهام..

بل آلاف..

***

تحت قيادة القاتل الإيطالي المحترف (ماريو)، انتشر رجال الأمن، في المبنى الإداري الضخم، لمجموعة شركات (رشاد السلباوي)، وراحوا يفتشون كل حجرة..

بل كل سنتيمتر..

وبكل صرامته وتوتره الإيطالي، راح (ماريو) يهتف:

- أوقفوا المصاعد كلها، وافصلوا التيار عنها تمامًا.. كل طابق يتم تفتيشه يغلق تمامًا، وتوضع عليه حراسة مشددة.. وليذهب فريق من أفضل رجالكم، لحماية الزعيم مباشرة.

سأله أحد رجال الأمن في حذر:

- هل تقصد (رشاد) بك، بلقب الزعيم هذا؟!

كان (ماريو) يقصد الإشارة إلى (إدوارد) في الواقع، ولكن تساؤل رجال الأمن جعله يجيب في حدة:

- بالتأكيد أيها الغبي.. ومن غيره؟!

كان الرجال غير المدربين يشعرون بتوتر بلا حدود؛ لأنهم يواجهون هذا الموقف لأول مرة؛ لذا فقد تعلقوا بقيادة (ماريو) المحترف، وراحوا ينفذون أوامره بمنتهى الطاعة والدقة..

وفي الطابق الثالث من المبنى، كان رجلان من رجال الأمن يتحركان في توتر وسرعة؛ لتفتيش المكان كله، وأحدهم يسأل زميله:

- ترى ماذا يحدث هنا؟! الأمر يبدو كما لو أنَّنا في حرب!

غمغم زميله:

- يبدو أن الشخص، الذي تسلل إلى المبنى، يثير قلقهم بشدة.

تساءل الأول:

- ومن ذلك الإيطالي، الذي يدير الأمور هنا؟!

تنهد زميله، وقال، وهو يدفع باب حجرة أدوات النظافة:

- لا أحد يعلم أي شيء عنه، سوى أنَّه يحظى باهتمام السيد (إدوارد) شخصيًّا، وهذا يعني أنَّه..

قاطعه صوت من داخل حجرة أدوات النظافة، يقول في صرامة:

- وغد مثله.

جفل الرجلان مع المفاجأة، وسحب أحدهما مسدسه في سرعة، وهو يهتف:

- يا إلهي! إنَّه..

قبل أن يتم عبارته، انقض عليه (نديم) كالصاعقة، وركل يده الممسكة بالمسدس، فأطاح به في قوة، قبل أن تثب قبضته، لتضرب فكه بلكمة كالقنبلة..

وفي نفس اللحظة، التي سقط فيها الرجل فاقد الوعي، كان زميله ينقض على (نديم)، صائحًا:

- أنت هو.

قالها، وهو يلكم (نديم) في صدره لكمة قوية، شعر معها هذا الأخير بألم عنيف، وهو يتراجع ليرتطم بالجدار، إلا أنَّه لم يلبث أن ارتد في سرعة، وهو يهتف:

- نعم.. أنا هو.

ومع قوله، غاصت قبضته اليمنى في معدة رجل الأمن، قبل أن يسحب مسدسه بلحظة واحدة، وما أن انثنى الرجل، من فرط الألم، حتى ارتفعت نفس القبضة، لتهوي على فكه كصاعقة، أعادته على وضعه، وزادته انحناءً إلى الخلف، ليسقط على ظهره في عنف، وهو يصرخ:

- النجدة يا..

قبل أن تكتمل صرخته، ركله (نديم) في أنفه بعنف، فارتطم رأسه بالأرض، وغاب عن الوعي على الفور..

وفي سرعة، ودون أن يضيع لحظة واحدة، وعلى الرغم من

ذراعه المصابة، جذب (نديم) الرجلين، داخل حجرة أدوات النظافة، وهو يغمغم:

- كان هذا ضروريًّا للأسف، على الرغم من ثقتي بأنكما تجهلان ما يحدث هنا..

وفي إحكام، أغلق الباب خلفه وخلفهما، مستطردًا بكل صرامة، وعيناه تتألقان على نحو عجيب:

- ولكنه خطأ أولئك الأوغاد، الذين يستأجرون غير المحترفين، للقيام بأعمال المحترفين.

وتضاعف تألق عينيه، وهو يضيف:

- وعليهم أن يدفعوا ثمن هذا.

ثم بدأ عمله..

***

«خطأ يا (إدوارد).. خطأ..»

هتف (رشاد السلباوي) بالكلمة، في غضب هادر، وهو يقف أمام نافذة حجرة مكتبه الكبيرة، قبل أن يلوح بذراعه كلها، مستطردًا بكل الحدة والانفعال:

- من الواضح أنك لم تستوعب وجودك في (مصر) بعد، وما زلت تتعامل وكأنك في (شيكاغو) أو (لوس أنجلوس).. هل تتصور أن الأمور تسير في العالم كله، على وتيرة واحدة؟!

عقد (إدوارد) كفيه خلف ظهره في صرامة، وهو يجيب:

- هذا صحيح.

هتف به (رشاد):

- ما الصحيح؟!

أجابه في صرامة أكثر:

- الأمور تسير في العالم كله، على وتيرة واحدة، مع شيء يسير من التعديل، بين كل مكان وآخر.

ثم مال نحوه، مستطردًا في شراسة:

- فالقوة والنفوذ وحدهما، يحكمان كل شيء.

صاح به (رشاد) في غضب:

- وماذا عن القانون؟!

اعتدل (إدوارد)، مجيبًا:

- القانون أيضًا يخضع للقوة والنفوذ، ويتحور مع وجودهما، على نحو يرضي مالكهما.

صاح (رشاد):

- ليس في (مصر).

أجابه (إدوارد)، في صرامة مخيفة:

- بل في كل مكان في العالم.

لوَّح (رشاد) بذراعه مرة أخرى، قائلًا في حدة:

- وكيف تنقذك القوة، ويحميك النفوذ، من محاولة اغتيال، جلبت لنا، أول ما جلبت، محاولة انتقام مباشرة، من الشخص المفترض تصفيته؟!

أجابه (إدوارد) في حزم:

- القوة والنفوذ يبعدان الشبهات عنك من الأساس أيها الأحمق.

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفع صوت سكرتيرة مكتب (رشاد)، عبر جهاز الاتصال الداخلي، وهي تقول:

- سيد (إدوارد).. أحد رجال أمن المبنى هنا، ويصر على مقابلتك فورًا.

انعقد حاجبا (إدوارد) في شدة، وهو يقول:

- مقابلتي أنا.. ولماذا؟!

أجابته السكرتيرة، وصوتها يحمل رنة توتر:

- يقول إن هذا يتعلق بالمتسلل، و...

بترت عبارتها، لتصرخ فجأة:

- أنت.. ماذا تفعل.

لم يكد جهاز الاتصال الداخلي ينقل صرختها، حتى انتفض جسد (رشاد) في عنف، وتراجع بحركة عشوائية حادة، هاتفًا:

- ماذا يحدث؟! ماذا يحدث؟!

أما (إدوارد)، فقد قفزت يده بسرعة إلى جيب سترته، حيث يحتفظ بمسدسه الصغير، و...

وفجأة، اقتحم (نديم) الحجرة، وقال في صرامة، وهو يصوب فوهة مسدس كبير، إلى رأس (إدوارد) مباشرة:

- إياك أن تحاول..

تجمدت يد (إدوارد)، قبل أن تبلغ مسدسه، وامتقع وجه (رشاد) بشدة، وراح جسده يرتجف في عنف، في حين لحقت السكرتيرة بـ(نديم)، صائحة:

- ليس من اللائق أن...

اختنقت صيحتها في حلقها، عندما وقع بصرها على المسدس المصوب إلى رأس (إدوارد)، وأطلقت شهقة مذعورة، فهتف بها هذا الأخير في حدة:

- اصمتي..

نقلت بصرها في ارتياع، بين (نديم) و(إدوارد)، فهتف (رشاد) في رعب:

- سنبلغ الشرطة.. (نسرين).. أبلغي الشرطة فورًا، قبل أن....

صاح به (إدوارد):

- اصمت يا رجل، وتمالك أعصابك.

ارتجف صوت السكرتيرة، وهي تقول:

- هل أبلغ الشرطة؟!

أجابها (إدوارد) في صرامة:

- كلا.. انصرفي إلى مكتبك، وسنستدعيك إذا ما احتجنا إليك.

عادت تنقل بصرها، بين وجه (رشاد) الشاحب، وملامح (إدوارد) العصبية الصارمة، والمسدس في يد (نديم)، قبل أن تغادر الحجرة، وتغلق بابها خلفها في عصبية، ولم تكد تفعل، حتى قال (نديم):

- من الواضح أن محاميكَ أكثر حكمة منك أيها الحقير.

اتسعت عينا (رشاد)، وهو يقول:

- حقير.. من تقصد بكلمة حقير هذه؟!

استوقفه (إدوارد) بإشارة صارمة من يده، وهو يقول:

- لماذا أنت هنا يا سيد (نديم)؟!

أجابه (نديم) في صرامة:

- السؤال الأكثر عملية هو: لماذا أثار وجودي توترك إلى هذا الحد أيها الوغد؟!

عقد (إدوارد) ساعديه أمام صدره، مجيبًا:

- لست أتذكر أن أحدًا قد دعاك إلى هنا يا سيد (نديم).

أجابه (نديم) في سرعة:

- الواقع أنَّني قد تلقيت دعوة الحضور في مكتبي، ولكن مَن أرسلته بها أخطأ العنوان، فمنحها لزميلتي (غادة)، التي لو أصابها مكروه، فلن تكفيني حياتكما معًا تعويضًا عنها.

ازداد امتقاع وجه (رشاد)، وارتبك على نحو ملحوظ، حتى أن ساقيه قد عجزتا عن حمله، فاستند إلى أقرب مقعد إليه، وهو يردد:

- يا إلهي! يا إلهي!

جلس على المقعد، وركبتاه تصطكان ببعضهما، في حين قال (إدوارد)، في شيء من البرود:

- لستُ أفهم بالضبط ما تعنيه، يا سيد (نديم).

جذب (نديم) إبرة المسدس، الذي حصل عليه من أحد رجلي الأمن، اللذين أفقدهما وعيهما، وهو يقول في صرامة:

- أتظنني مضطرًا لمنحك دعوة مماثلة، حتى أنعش ذاكرتك؟!

ابتسم (إدوارد) في شيء من السخرية، وهو يقول:

- أنا واثق من أنك لن تفعل.. هذا لا يتفق مع طبيعة شخصيتك.

قال (نديم) في غضب:

- حتى بعد ما فعلتموه بزميلتي أيها الوغد؟!

التقى حاجبا (إدوارد)، وهو يقول في توتر:

- إنك لم تقتل أحدًا، طوال تاريخك كله.

سأله (نديم)، وهو يصوب المسدس، إلى رأسه مباشرة، وسبابته تتلاعب على الزناد:

- أي تاريخ تقصد؟! تاريخ (نديم فوزي)، ضابط الشرطة السابق، أم...

أكمل (إدوارد) في سرعة:

- أم تاريخ (العقرب) الحالي؟!

قال (نديم) في صرامة:

- لم يعد هناك فارق.

كاد (رشاد) يفقد وعيه، من شدة خوفه، وهو يتمتم في انهيار:

- كان ينبغي أن نبلغ الشرطة.. كان ينبغي أن نفعل.

أدار (نديم) عينيه إليه، قائلًا:

- إنَّني أتفق معك في هذا.. أي شخص شريف، في نفس موقفك، كان سيتصل بالشرطة مباشرة، ولكن يبدو أن محاميك لا يرغب في أن تدس الشرطة أنفها هنا.

عاد (إدوارد) يسأله في عصبية:

- لماذا أنت هنا يا سيد (نديم)؟!

أعاد (نديم) بصره إليه، قائلًا:

- تستطيع أن تقول: إنَّني ألعب دور «البوسطجي».

ردد (إدوارد)، في حذر متسائل:

- «البوسطجي؟!»

أجابه (نديم):

- نعم.. لتوصيل رسالة مباشرة.

اتسعت عينا (رشاد)، في رعب هائل، وهو يحدق في فوهة المسدس، الذي يمسك به (نديم)، وقد خُيِّل إليه أنَّه قد فهم ما يعنيه، ولكن هذا الأخير تابع بنفس الصرامة:

- رسالة تقول: إنَّه إذا ما أردت أن أصل إليكما فسأفعل، مهما أحطتما نفسيكما بكل حماية ممكنة.

غمغم (إدوارد) في حذر أكثر:

- فقط.

قال (نديم) في صرامة:

- ضغطة واحدة على الزناد، وأضيف تأكيدًا جديدًا، لا يقبل الجدل، أو...

بتر عبارته بغتة، عندما لاحظ اعتدال (رشاد) على مقعده، وذلك التألق في عيني (إدوارد)..

وبسرعة، وبمزيد من براعة الاستنباط وغريزة المقاتل، استدار (نديم) خلفه في سرعة، ورفع فوهة مسدسه، ولمح لحظة وجه (ماريو)، الذي عبر بابًا خفيًّا في الجدار، و...

وقبل أن تكتمل استدارته، هوت على رأسه ضربة عنيفة..

وأظلمت الدنيا دفعة واحدة..

تمامًا.

***

-١٠-

قبضة العدو

خفق قلب عم (أحمد) في عنف، وامتقع وجهه بشدة، وهو يقف أمام حجرة عمليات الطوارئ بالمستشفى، وراحت عيناه الزائغتان تتابعان في ارتياع ملهوف، كل من يدخل ويخرج منها، قبل أن يتعلق بذراع أحد الممرضين، ويسأله في توتر بالغ:

- كيف حالها؟!

أزاح الممرض يده، وهو يجيب في آلية:

- الأطباء يفعلون كل ما في استطاعتهم.

لحق به عم (أحمد) مرة أخرى، متسائلًا:

- هل.. هل اخترقت الرصاصة قلبها؟!

هز الممرض رأسه، قائلًا:

- لستُ أدري.. هذا أمر يفهمه الأطباء وحدهم.

حاول الرجل أن ينصرف لشأنه، ولكن عم (أحمد) عاد يتعلق بذراعه مرة أخرى، متسائلًا:

- قل لي بالله عليك هل ستنجو؟!

صاح به الممرض في حدة:

- ومن أدراني؟!

تراجع عم (أحمد)، وانكمش على نفسه في ضعف، مغمغمًا:

- معذرة يا ولدي.. كنت فقط أسأل:

- شعر الممرض بتأنيب الضمير، وبالشفقة على الشيخ، فربت على ظهره، مغمغمًا:

- سامحني يا والدي.. أعباؤنا كثيرة، وأعصابنا دائمًا في

قمة التوتر.

أومأ عم (أحمد) برأسه متفهمًا، وقال:

- أعلم هذا يا بني.. أعلم جيدًا، ولكنك لا تدرك كم أشعر بالخوف عليها.

انحدرت الدموع من عينيه، مع الجزء الأخير من عبارته، وارتجفت شفتاه في مرارة، فعاد الممرض يربت على ظهره، قائلًا:

- لا بأس يا والدي.. سأعود إلى حجرة العمليات، وسأبلغك خيرًا بإذن الله.

تبعه عم (أحمد) ببصره، وهو يعود إلى غرفة العمليات، ثم غمغم:

- ساعدها يا إلهي! ساعدها.

مضت دقائق، بدت له أشبه بدهر كامل، وهو يقف في انتظار عودة ذلك الممرض وتعلقت عيناه بباب حجرة

عمليات الطوارئ، و....

وفجأة، انفتح الباب..

وخفق قلب عم (أحمد) في قوة، واشرأب ببصره، متوقعًا رؤية ذلك الممرض..

ولكنه لم يكن قادمًا..

كانت ممرضة شابة، اندفعت خارج حجرة العمليات، وانطلقت تعدو في الممر فصاح بها عم (أحمد):

- ماذا حدث؟!

صاحت به في توتر بالغ:

- لا وقت لهذا أيها الشيخ.. الموقف خطير للغاية!

وهوى قلب عم (أحمد) بين قدميه..

بمنتهى العنف..

***

انتفخت أوداج (ماريو)، وهو يصوب مسدسه إلى رأس (نديم)، الذي سقط فاقد الوعي، وقال في سخرية وحشية:

- إنَّه لم يكن ذكيًّا كما تصور.

ثم جذب إبرة مسدسه، مستطردًا:

- هل أنسف رأسه؟!

قبل أن تنفرج شفتا (إدوارد) بحرف واحد، هب (رشاد) من مقعده صائحًا بكل عصبية الدنيا:

- لا.. ليس هنا.

تطلَّع إليه (ماريو) في سخرية، ولكن (إدوارد) قال في صرامة:

- إنَّه على حق.

هتف (ماريو) في عصبية:

- أي حق؟! إنَّه متسلل.. دخل المكان دون وجه حق، والمسدس الذي كان يمسك به، يحمل بصماته حتمًا، ويمكننا أن ندعي أنَّه حاول قتل سنيور (رشاد)، أو....

قاطعه (رشاد) في حدة:

- لا.. لا تقحم اسمي في هذا الأمر.

قال (ماريو) في حدة:

- لقد تم إقحامه بالفعل، فالمبنى كله يحمل اسمك، والصحف سوف..

قاطعه (إدوارد) في صرامة:

- الصحف لن تعلم بما حدث هنا.

رفع (ماريو) عينيه إليه بحركة حادة، قبل أن يقول في عصبية:

- كيف تفكرون هنا بالضبط؟!

أجابه (إدوارد) بزمجرة شرسة:

- بالأسلوب الصحيح، الذي لا يعلمه الحمقى أمثالك.

انعقد حاجبا (ماريو) في عصبية، فتابع (إدوارد)، بنفس الصرامة الشرسة العنيفة:

- أنت لا تعرف الصحافة هنا، وفي أي مكان آخر.. (السلباوي) يقيم مبنى ضخمًا، في قلب المدينة، وهذا المحامي أقام دعوى ضده بالفعل، لمنعه من إتمام المشروع، بحجة أنَّه نوع من التلوث البصري البيئي، والصحف ستفسر مقتله هنا، بأنَّه نوع من بلطجة أثرياء رجال الأعمال، وسيتحول اسم (السلباوي) إلى مضغة في الأفواه، ربما لعام كامل، والعمل الذي نقوم به هنا.. أقصد العمل الحقيقي، لا يتفق مع لفت انتباه الصحافة، حتى ولو وجدنا ألف مبرر قانوني لمقتله هنا.

لوح (ماريو) بذراعيه، هاتفًا:

- هل سنتركه يرحل إذن؟!

التقى حاجبا (إدوارد) في صرامة وحشية، وهو يقول:

- كلا بالطبع.. إنَّنا سنتخلص منه.

ثم شد قامته، مضيفًا:

- بعيدًا عن هنا.

تألقت عينا (ماريو)، وهو يقول:

- آه.. فهمت.

تابع (إدوارد)، في صرامة امتقع لها وجه (رشاد) أكثر:

- قل لـ(إبراهيم) أن يعاونك، وقيداه جيدًا، ثم ضعاه في صندوق السيارة الكبيرة، واصعدا به إلى جبل المقطم، و....

كشر (ماريو) عن أسنانه القذرة، وهو يقول:

- لقد فهمت.

ثم انطلقت من حلقه ضحكة وحشية مجلجلة، وهو يلتقط هاتفه المحمول، ويضغط أزراره، قائلًا:

- (إبراهيم).. تعالَ إلى حجرة سنيور (رشاد) فورًا.. ادخل من الباب الخلفي، المتصل بحجرة الاجتماعات، وليس من الباب الرئيسي.

وبضغطة زر أخرى، أنهى الاتصال، وأعاد الهاتف إلى جيبه، فقال (رشاد) في عصبية:

- هذا لا يروق لي.

أجابه (إدوارد) في صرامة:

- هذا لا يهم.

قهقه (ماريو) ضاحكًا مرة أخرى، ثم مال يضرب مؤخرة عنق (نديم) بكعب مسدسه، فهتف (رشاد) في حنق:

- ولماذا؟! إنَّه فاقد الوعي بالفعل!!

تألقت ضحكة وحشية، في عيني (ماريو)، وهو يجيب:

- لا ضير من تأمين أكثر.

هز (رشاد) رأسه في عنف، وضرب سطح مكتبه بقبضته، هاتفًا في عصبية تمتزج بالمرارة:

- لم أعد أحتمل هذا.. لم أعد أحتمله.

أجابه (إدوارد) في صرامة، وهو يتابع (ماريو)، الذي انهمك في تكميم (نديم) وتقييد معصميه خلف ظهره:

- لا بد أن تروض نفسك على احتماله إذن، فعملنا يحتاج إلى الأقوياء، وليس إلى الضعفاء الخائفين أمثالك.

صاح به (رشاد) في حدة:

- هكذا؟! لماذا لم يسندوا العملية كلها إليك إذن أيها المغرور؟!

رمقه (إدوارد) بنظرة ساخرة، قائلًا:

- لقد فعلوا في الواقع أيها العبقري.

هتف (رشاد):

- وماذا عني؟!

أشار بيده وهو يجيبه في صرامة:

- واجهة.. مجرد واجهة أنيقة للعملية كلها.

احتقن وجه (رشاد) في شدة، وهو يهتف:

- أيها الـ...

قبل أن يتم عبارته، ارتفع فجأة صوت السكرتيرة، عبر جهاز الاتصال الداخلي، وهي تقول في عصبية شديدة:

- (رشاد) بك.. رجال الشرطة هنا.

انتفض جسد (رشاد) على مقعده في عنف، واتسعت عيناه في ارتياع، وهو يحدق في (نديم) الفاقد الوعي، ويهتف:

- الشرطة؟ ألم يقل لك السيد (إدوارد)....

قاطعته السكرتيرة في سرعة عصبية:

- لقد أتوا من تلقاء أنفسهم.

انعقد حاجبا (إدوارد) بشدة، وأشار إلى (ماريو)، هامسًا في صرامة:

- احمله إلى حجرة الاجتماعات، وتعاون مع (إبراهيم)، لإخراجه من الباب الخلفي.. أسرع.

نفذ (ماريو) الأمر على الفور، في حين راح (رشاد) يدور حول نفسه في انهيار، مرددًا:

- يا إلهي! يا إلهي!

صاح به (إدوارد) في صرامة غاضبة:

- تمالك نفسك يا رجل.

وانتظر، حتى أغلق (ماريو) باب حجرة الاجتماعات خلفه، ثم انحنى يضغط زر جهاز الاتصال الداخلي، قائلًا:

- (رشاد) بك مريض يا (نسرين)، ولا يمكنه في الواقع مقابلة أحد، ولكننا لا نستطيع منع رجال الشرطة.

وأدار بصره بنظرة صارمة إلى (رشاد) وهو يستطرد:

- دعيهم يتفضلون.

ثم اعتدل، ورفع يده عن زر جهاز الاتصال الداخلي، قائلًا لـ(رشاد) في صرامة:

- تمالك نفسك أيها الجبان.

بذل (رشاد) جهدًا مستميتًا؛ للسيطرة على أعصابه، وهو يجلس خلف مكتبه، إلا أن جسده راح يرتجف في عنف، وهو يحدق برعب في باب حجرة مكتبه، الذي انفتح في هدوء، ودلف عبره اللواء (حلمي)، وخلفه العقيد (مجدي)،

فاستقبلهما (إدوارد) بابتسامة هادئة، وصوت أكثر هدوءًا، وهو يصافحهما، قائلًا:

- مرحبًا أيها السيدان.. ترى ما الحدث السعيد، الذي جعلنا نتشرف بزيارتكما؟!

تطلع رجلَا الشرطة إلى وجه (رشاد) الشاحب الممتقع، قبل أن يقول اللواء (حلمي):

- رجال الأمن لديكم يقولون إن متسللًا نجح في دخول المبنى ببطاقة شرطة غير صحيحة.

تضاعف شحوب وجه (رشاد)، وراحت شفتاه ترتجفان على نحو عجيب، وبدا صوت اصطكاك أسنانه مسموعًا، و(إدوارد) يبتسم، قائلًا:

- ولماذا يفعل أي شخص هذا؟! إنَّه مبنى تجاري، وأي شخص يمكنه الدخول، لو أن لديه ما يبرر هذا.

سأله (مجدي) في صرامة:

- هل تنكر ما قاله رجال أمنك؟!

هز (إدوارد) رأسه نفيًا، وأجاب بنفس الابتسامة:

- كلا، ولكن من الواضح أنهم قد أساءوا الفهم.. لقد كان أمرًا بسيطًا، ولكنهم حولوه إلى حرب مضحكة.

سأله (مجدي) مرة أخرى:

- وأين ذلك المتسلل؟!

أجاب (إدوارد) بسرعة:

- ومن أدراني؟!

انكمش (رشاد) في مقعده، وهو يحدق في باب حجرة الاجتماعات في رعب، و(إدوارد) يستدرك:

- لقد أدركت مدى سخافة الموقف كله، فأمرت بإنهاء كل هذا فورًا.

تطلع اللواء (حلمي) إلى (رشاد) مباشرة، وهو يقول:

- عجبًا! فعلى الرغم من هذا، كدنا نطلق النار على رجال أمنكم، حتى يمكننا الوصول إلى هنا.

هز (إدوارد) كتفيه، مجيبًا:

- من العسير العثور على خبراء أو أذكياء، في هذه المهنة.

همَّ (مجدي) بإلقاء سؤال آخر، لولا أن توجه اللواء (حلمي) نحو (رشاد) مباشرة، وهو يسأله:

- ماذا بك يا سيد (رشاد)؟!

خُيِّل له أن (رشاد) سيفقد الوعي، من شدة شحوبه وامتقاعه، وهو ينكمش في مقعده أكثر فأكثر، ويقول بصوت رجل يحتضر:

- إنَّني.. إنَّني مريض.

رمقه اللواء (حلمي) بنظرة فاحصة، وهو يقول:

- يا له من مرض عنيف، إنك تبدو كما لو أنك ستفقد الوعي.

ارتجفت شفتا (رشاد) في عنف، وهو يحدق فيه، ويجاهد لانتزاع أية كلمات من حلقه، ولكن اللواء (حلمي) استدار إلى باب حجرة الاجتماعات، وهو يتابع:

- ثم إنك تحدق طوال الوقت في هذا الباب.

انعقد حاجبا (إدوارد) في شدة، في حين قال (رشاد)، وهو على وشك أن يفقد الوعي بالفعل:

- هذا الباب؟!

اتجه اللواء (حلمي) نحو حجرة الاجتماعات مباشرة، وهو يقول في حزم:

- ترى ماذا يوجد خلف هذا الباب؟!

زاغت عينا (رشاد) في محجريهما، في حين عاد (إدوارد) يشد قامته في توتر، وهو يقول:

- ألديك إذن بالتفتيش يا سيادة اللواء.

أمسك اللواء (حلمي) مقبض الباب، وهو يقول في بساطة:

- وهل يستحق الأمر هذا؟!

التقى حاجبا (إدوارد) مرة أخرى، دون أن يجيب، فأدار اللواء (حلمي) المقبض، ودفع الباب، و....

ولم يكن هناك أحد..

حجرة الاجتماعات كانت خالية تمامًا، على نحو شعر معه (رشاد) وكأن روحه قد ردت إليه، فاعتدل في مقعده، وقال:

- إنَّها خالية، كما كان ينبغي أن تتوقع يا سيادة اللواء.

استدار إليه اللواء (حلمي)، قائلًا:

- ومن الواضح أنَّه يعد دواءً جيدًا لمرضك يا سيد (رشاد).

مع آخر حروف كلماته، ارتفع رنين هاتف العقيد (مجدي)

المحمول، فالتقطه في سرعة، وتساءل:

- من المتحدث؟!

رأى الجميع حاجبيه ينعقدان في شدة وتوتر، فسأله اللواء (حلمي) في قلق بالغ:

- ماذا حدث؟!

رفع (مجدي) عينيه إليه، مجيبًا في عصبية:

- إنَّها (غادة).

سأله اللواء (حلمي) في لهفة:

- ما أخبارها؟!

ازدرد (مجدي) لعابه في صعوبة، وأجاب:

- لقد توقف قلبها عن النبض.

واتسعت عينا اللواء (حلمي)..

بكل الارتياع..

***

أوقف (ماريو) سيارة الشركة الكبيرة، عند تلك الحافة، أعلى جبل المقطم، والتفت إلى (إبراهيم)، قائلًا:

- هذا المكان يبدو مناسبًا.. أليس كذلك؟

غمغم (إبراهيم)، وهو يتلفت حوله:

- بلى.. إنَّه مرتفع بما يكفي، ولن يلمحنا أحد من هذه الزاوية.

فرك (ماريو) كفيه، قائلًا:

- عظيم.

وغادر السيارة، مضيفًا في جذل وحشي:

- الطبيعة عندكم جميلة للغاية، والمشهد رائع من هنا.

غمغم (إبراهيم) في عصبية، وهو يلحق به:

- هل أصبحت رومانسيًّا فجأة؟!

قهقه (ماريو) ضاحكًا في شراسة، وقال:

- رومانسيًّا؟! كلا بالتأكيد، ولكن عمليات القتل تملأ نفسي بنوع من النشوة، لا يمكنني وصفه.

غمغم (إبراهيم)، وهو يفتح حقيبة السيارة:

- يا للبشاعة!

قهقه (ماريو) مرة أخرى، وهو ينحني ليرفع جسد (نديم) على كتفه، ثم اتجه به نحو الحافة، قائلًا:

- انتظر حتى ترى جسده يهوي من حالق؛ لتدرك ما أعنيه بالنشوة.

مطَّ (إبراهيم) شفتيه، وهو يسير إلى جواره، حتى بلغا الحافة، فقال (ماريو)، وعيناه تتألقان في وحشية:

- هيا أيها المحامي.. قل وداعًا لهذه الدنيا.

وفي هذه المرة، جلجلت ضحكته، في المنطقة كلها..

ضحكته الوحشية..

القاتلة..

***

-١١-
الفريسة

«كل شيء قانوني تمامًا..»

نطق العقيد (مجدي) العبارة في سخط واضح، وهو يجلس إلى جوار اللواء (حلمي)، داخل سيارة الشرطة، التي تنقلهما إلى المستشفى، الذي ترقد فيه (غادة)، فانعقد حاجبا اللواء، وهو يقول:

- هل يحنقك هذا؟!

لوح (مجدي) بيده، قائلًا:

- بالتأكيد.. إنَّنا نعلم أن (نديم) وراء كل ما حدث هناك، في شركة ذلك الوغد (رشاد السلباوي)، وأن شحوب رجل الأعمال واضطرابه، كانا أقرب دليل على هذا، على الرغم من هدوء وثبات محاميه الذئب (إدوارد)، ولكننا عاجزون عن اتخاذ أي إجراء رسمي، دون دليل قانوني، وإذن من النيابة،

وتقارير وتحريات، وألف إجراء ورقي آخر..

رمقه اللواء (حلمي) بنظرة جانبية، وهو يقول:

- ما الحل في رأيك إذن؟!

هتف في حدة:

- آه لو أنَّنا نستطيع..

بتر عبارته دفعة واحدة، فابتسم اللواء (حلمي)، مكملًا:

- تجاوز الإجراءات القانونية قليلًا.

ثم مال نحوه، مضيفًا في خبث:

- مثلما يفعل (العقرب).

انتفض (مجدي) في عنف، هاتفًا:

- كلا.

ثم التقى حاجباه في شدة، مضيفًا في صرامة:

- القانون هو القانون.

زفر اللواء (حلمي) في ضجر، وهو يعود إلى الاعتدال، قائلًا:

- بالتأكيد.

ازداد التقاء حاجبي (مجدي)، وهو يسند ظهره بقوة إلى مقعده، ويطبق شفتيه، وعقله يعيد دراسة الموقف كله..

كل صراعاته مع (نديم) عبرت ذهنه في لحظات..

كل خلافاتهما..

واختلافاتهما..

ثم توقف عند النتائج..

لقد نجح (نديم) عدة مرات، في مواجهة مجرمين، اتخذوا

من القانون وثغراته درعًا؛ لإخفاء جرائمهم والتحايل على القواعد..

نجح في كل مرة، واجه فيها عتاة المجرمين، وعمالقة اللصوص، بأسلوب ناسب أمثالهم.

أسلوب المواجهة المباشرة..

ولكن لا..

القانون هو القانون..

ربما يفلح تجاوزه مع بعض المجرمين، ولكن الالتزام به يحمي الأبرياء حتمًا..

هذا ما آمن به، وما سيؤمن به دومًا..

القانون هو القانون..

مهما كانت الأسباب..

والجريمة أيضًا هي الجريمة..

المجرم عدو للمجتمع والشعب..

عدو للأخلاق والقيم..

والقضاء على المجرم والجريمة، هو هدف كل إنسان سوي شريف..

وهذا ما يفعله (نديم فوزي)..

العقرب..

ولكن بأسلوبه الخاص..

الخاص جدًّا..

اعتدل في مجلسه فجأة، عند بلوغه هذه النقطة، وقال في حزم صارم:

- لا يمكن أن نترك الأمور تسير على هذا النحو.

التفت إليه اللواء (حلمي) في دهشة، قائلًا:

- ماذا تعني؟!

أجابه في حماسة شديدة أدهشته:

- لا يمكن أن نترك (نديم) في قبضتهم يا سيادة اللواء.

واكتسى صوته بحزم لا مثيل له، وهو يضيف:

- إنَّه زميل.. زميل سابق.

كانت دهشة اللواء (حلمي) عارمة، إلا أنَّه تساءل في اهتمام:

- وما الذي تقترحه؟!

أجابه (مجدي)، وهو يحل حزام مقعده بالفعل:

- واصل أنت طريقك إلى المستشفى، للاطمئنان على (غادة) يا سيادة اللواء، وسأعود أنا إلى شركة (السلباوي).

قالها، وهتف بالسائق، يطالبه بالتوقف، فسأله اللواء (حلمي) في حيرة، قبل أن يغادر السيارة:

- ولماذا تعود إلى الشركة؟!

أجابه (مجدي)، وهو يشير إلى إحدى دوريات الشرطة الراكبة:

- لا يمكن أن أترك (نديم) وحده.

وارتفع حاجبا اللواء (حلمي) إلى أقصى مداهما، في دهشة بالغة..

فما حدث الآن أمامه، كان تحولًا خطيرًا في شخصية العقيد (مجدي)..

خطير للغاية..

***

انطلقت ضحكة الإيطالي (ماريو) عالية وحشية، وهو يحمل (نديم)، ليلقيه من حافة جبل المقطم، وهتف وهو يشد عضلاته كلها:

- هيا.. اذهب إلى الجحيم أيها المصري.. الحق بزميلتك هناك.

نطقها بالإيطالية، وبلهجة عامية مبتذلة، وهو يدفع جسد (نديم) إلى الأمام، و...

ولكن فجأة، تشبثت أصابع (نديم) بذراعه، في قوة هائلة..

كان قد استعاد وعيه، في نفس اللحظة التي أطلق فيها (ماريو) هتافه، ووثبت إلى ذهنه صورة واحدة..

صورة (غادة)، وهي تصاب بالرصاصة في ظهرها، وتسقط بين ذراعيه، والدماء تنفجر من موضع الإصابة في عنف..

وتفجر الغضب، في كل ذرة من كيانه..

وعندما هم (ماريو) بإلقائه، من حافة المقطم، تشبث

(نديم) بذراعه في قوة، وهو يستنفر كل قوته وإرادته، ليدفع نفسه إلى الخلف، هاتفًا في غضب:

- لن تكمل جريمتك بسهولة أيها الحقير.

تلك المبادرة المباغتة غير المتوقعة، دفعت جسد (نديم) إلى الخلف، ليهبط على قدميه، وراء (ماريو)، الذي اختل توازنه مع المفاجأة، فضرب الهواء بذراعيه، محاولًا التشبث بأي شيء، وهو يطلق سبابًا إيطاليًا بذيئًا..

أما (إبراهيم)، فقد انتفض بعنف مع المفاجأة، قبل أن يندفع نحو (نديم)، هاتفًا:

- مستحيل!

وثب منقضًا على (نديم)، الذي لم يستعد كامل وعيه وتوازنه بعد، إلا أن غريزته، التي تذكر كل ما تدرب عليه وتفوق فيه، خلال فترة دراسته، في أكاديمية الشرطة، جعلته يميل جانبًا، متفاديًا انقضاضة (إبراهيم)، الذي اختل توازنه بدوره، مع اختفاء خصمه المفاجئ، فواصل اندفاعه لمتر آخر، ليرتطم بالإيطالي ارتطامة خفيفة..

وعلى الرغم من ضعف اصطدامه به، إلا أن هذا كان كافيًا تمامًا، لكسر ما تبقى من توازن القاتل المحترف، الذي أطلق صرخة رعب هائلة، وتضاعفت قوة ضرب ذراعيه للهواء، قبل أن يهوي جسده من حالق..

وبمنتهى العنف، ارتطم جسده بالصخور في أسفل، وتهشم بصورة مخيفة، جعلت (إبراهيم) يطلق شهقة ارتياع ورعب، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يتخيل نفسه في الموقف ذاته..

وعندما استدار، محاولًا الفرار إلى سيارة الشركة، ارتطم بصره بوجه (نديم)، الذي حمل نظرة صارمة قاسية، وهو يقول:

- إلى أين؟!

حاول (إبراهيم) أن ينتزع مسدسه من حزامه، إلا أن قبضة (نديم) كانت أسرع منه، وهي تهوي على فكه بلكمة كالقنبلة، تراجع معها مترًا واحدًا إلى الخلف، و...

واختل توازنه في عنف..

لقد بلغ الحافة بتراجعه، ومال جسده إلى الخلف، وصار السقوط حتميًّا..

ولكن فجأة، قبضت أصابع (نديم) القوية على سترته، ثم جذبته إلى الداخل، لتهوي قبضته الأخرى على فكه بلكمة ثانية، سقط الرجل بعدها على ركبتيه، وهو يهتف، والدماء تتناثر من بين شفتيه:

- الرحمة.. أرجوك.. سأخبرك بكل ما تريد معرفته.. بكل شيء.. كل شيء..

وعندما رفع عينيه، المغروقتين بالدموع إلى وجه (نديم)، انتفض جسده في عنف وارتياع..

فوجه هذا الأخير كان يحمل المقت والقسوة والغضب..

كل الغضب..

***

احتقن وجه (إدوارد) في سخط، وهو يعيد هاتفه المحمول إلى جيبه، قائلًا:

- لماذا لا يجيب (إبراهيم)؟! هاتفه يرن طويلًا دون إجابة وهذا يقلقني كثيرًا.

قال (رشاد)، وهو يستدير إلى لوحة كبيرة خلف مكتبه:

- أما أنا، فهذا يفزعني إلى حد الهلع.

انعقد حاجبا المحامي، عندما رآه يزيح اللوحة جانبًا، ليكشف خزانة سرية، تختفي خلفها:

- ماذا تفعل بالضبط؟!

أجابه (رشاد)، وهو يضغط أزرار رتاج الخزانة الإلكتروني، بأصابع مرتجفة:

- في موقفنا هذا، يصبح من الخطورة أن تحتفظ بهذه الملفات.

قالها، وفتح الخزانة، ليخطف من داخلها ثلاث أسطوانات مدمجة، فهتف به المحامي في حدة:

- ماذا تعني؟!

أجابه (رشاد) بعصبية مفرطة:

- أعني أنَّه من المحتم تدمير كل المعلومات والوثائق الإلكترونية، قبل أن تعثر عليها الشرطة، وينتهي أمري تمامًا.

انقض عليه (إدوارد) لينتزع الأسطوانات من يده، صائحًا في غضب:

- هل جننت؟! هذه الأسطوانات تحوي عناوين كل الجهات، التي نتعامل معها، وأرقام الحسابات السرية، في بنوك (سويسرا) و(مونت كارلو)، و(أمريكا)، و(اليونان)..

صاح (رشاد)، وهو يقاومه في حدة:

- وما قيمة المال، لو لم نجد الفرصة لإنفاقه؟!

صرخ (إدوارد):

- لقد جننت حتمًا.

وقرن صرخته هذه بلكمة غاضبة، حطم بها أنف (رشاد)، قبل أن ينتزع تلك الأسطوانات الثلاث من يده عنوة، مستطردًا في صرامة:

- الأصدقاء في (لوس أنجلوس) لن يعجبهم ما أصابك أبدًا.

مسح (رشاد) الدماء، التي تفجرت في أنفه، وهو يقول في عصبية بالغة:

- الأوغاد في (لوس أنجلوس) لا يعنيهم أمري، أو حتى أمرك.. كل ما يهمهم هو أموالهم القذرة، وبراعتنا في غسيلها هنا.

دس (إدوارد) الأسطوانات في جيبه، وهو يقول في صرامة:

- من الواضح أنك لم تعد تصلح للعمل.. إنَّنا نحتاج إلى

شخص قوي..

قال (رشاد) في حدة:

- وماذا ستفعل؟! هل ستقتلني؟!

دس (إدوارد) يده في جيبه، وأخرج مسدسًا مزودًا بكاتم للصوت، وهو يقول بلهجة مخيفة:

- اقتراح لا بأس به.

اتسعت عينا (رشاد) عن آخرهما، وهو يتراجع ملوحًا بيده، وهاتفًا في رعب:

- لا.. لا.. لقد أخطأت.. أعترف أنَّني أخطأت.. سأفعل كل ما تأمرني به.. أقسم لك.. حتى الأسطوانات لن أحتفظ بها بعد اليوم.. إنَّها لك.. أرجوك.

جذب (إدوارد) إبرة مسدسه، وهو يقول في صرامة:

- لم تعد هناك فائدة يا رجل.. إنَّني أنفذ أوامر الأصدقاء في

(لوس أنجلوس).. إنَّها ليست مسألة شخصية.

سقط (رشاد) على ركبتيه، هاتفًا:

- لا.. أرجوك.. الرحمة.

بدا صوت (إدوارد) قاسيًا كلوح من الصلب، وهو يقول:

- وداعًا يا (رشاد).

قبل أن يضغط الزناد، ارتفع رنين هاتفه المحمول فجأة، فالتقطه من جيبه بيسراه، في حركة حادة، دون أن يبعد فوهة مسدسه عن (رشاد)، الذي انهار تمامًا من فرط الرعب، وقال في صرامة، بعد أن ألقى نظرة على الرقم، على شاشة الهاتف:

- أين كنت يا (إبراهيم)؟! إنَّني..

قاطعه صوت (نديم)، وهو يقول في صرامة:

- أنا لست مساعدك الوغد أيها الحقير.. أنا الكابوس، الذي

لن يفارقك ليلة واحدة، لو أنَّه تبقَّى لك المزيد من العمر.

انتفض جسد (إدوارد) في عنف، واتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يهتف في عصبية:

- أنت؟! مستحيل!

أجابه (نديم) بنفس الصرامة:

- المستحيل هو أن تفلت بأفعالك القذرة أيها الحقير.. لقد أتيت لأجبرك على دفع فاتورة قذاراتك، التي زكمت أنوف الشرفاء.

ظلت عينا (إدوارد) متسعتين لحظة من فرط الدهشة، التي لم تلبث أن تحولت إلى غضب هادر، وهو يقول:

- اسمع يا هذا.. سواء أكنت عقربًا أو حتى ثعبانًا، فلن أسمح لك بأن تمس شعرة واحدة مني.. سآمر الرجال بقتلك فورًا، ودون أدنى رحمة، لو حاولت مجرد محاولة، أن تقترب من هنا، أو...

قاطعه (نديم) بضحكة ساخرة، وهو يقول:

- أقترب من هنا؟! يا لك من غر ساذج، على الرغم من حقارتك.. إنَّني هنا بالفعل أيها الوغد.

ومع آخر حروف عبارته الساخرة، تحطم زجاج حجرة المكتب في عنف، ليثب عبره جسد قوي، يتشح بالسواد، من قمة رأسه، وحتى أخمص قدميه..

لقد كان (نديم).. (نديم فوزي)..

ولكن في الزي الذي يفضله، في مثل هذه الظروف..

زي (العقرب)..

***

-١٢-

المواجهة الأخيرة

لنصف دقيقة كاملة، راح المحامي (إدوارد) يحدِّق في وجه (العقرب) وقناعه الأسود في دهشة أقرب إلى الذهول، تمتزج بذعر عصبي، قبل أن يتمالك جأشه، ويقول في توتر:

- وسيلة عنيفة للدخول يا سيد (نديم)، ثم إن هذا القناع لم يعد بإمكانه أن يخدع أحدًا، في الوقت الحالي.

هز (نديم) كتيفه، وهو يعقد ساعديه أمام صدره، قائلًا في صرامة:

- إنَّه يشعرني بالارتياح على الأقل.

أدار (إدوارد) فوهة مسدسه المزود بكاتم للصوت نحوه، وهو يقول في حدة:

- أتعني لن يشعرني مسدسي هذا بالارتياح؟!

تطلع (نديم) إلى فوهة المسدس بلا مبالاة، قبل أن يقول:

- لو أن قوتك تكمن في سلاحك فحسب.

انعقد حاجبا (إدوارد) في غضب، وهو يلوح بمسدسه، هاتفًا:

- انزع قناعك السخيف هذا عن وجهك.. أريد أن أتحدث إلى (نديم فوزي)، وليس إلى (العقرب).

انتزع (نديم) قناعه في هدوء، وهو يتساءل، في لهجة حملت رنة ساخرة:

- أيصنع ذلك فارقًا؟!

أجابه في حدة:

- بالنسبة لي على الأقل.

ارتفع صوت (رشاد) من خلفه فجأة، وهو يهتف في انفعال مرتجف:

- الأسطوانات يا سيد (نديم)، خذ الأسطوانات من جيبه.. سأعترف بكل شيء، على أن تعتبروني شاهدًا، و...

قاطعه (إدوارد)، وهو يستدير إليه في حركة حادة، صائحًا:

- اخرس أيها الغبي.

ومع صيحته، ضغط زناد مسدسه..

وانطلقت الرصاصة بدوي مكتوم..

ومع انطلاقها، وقبل حتى أن تنطلق شهقة الموت، من بين شفتي (رشاد السلباوي)، وثب (العقرب)..

وثب لينقض على (إدوارد) في عنف، هاتفًا:

- خطأ أيها الوغد.

وبركلة قوية، أطاح بالمسدس من يد (إدوارد)، مستطردًا:

- لا تبعد عينيك عن خصمك، في ظروف كهذه أبدًا.

كانت قبضته تنطلق نحو فك المحامي الداهية، عندما ارتفع ساعد هذا الأخير بحركة سريعة ماهرة، ليصد الضربة، قائلًا في غضب:

- مشكلتك أيها المقنع..

ودار حول نفسه برشاقة مدهشة، ليركل (العقرب) في صدره ركلة عنيفة، ألقت هذا الأخير إلى الخلف، والمحامي يتابع:

- أنك تتصور نفسك الأكثر براعة.

ثم وثب في مرونة مذهلة، ليهبط على مسافة نصف المتر من (نديم)، مستطردًا:

- والأكثر قوة.

كانت مفاجأة حقيقية لبطلنا، ولكنها لم تمنعه من صد لكمة كالقنبلة، صوبها المحامي إلى أنفه، قبل أن يتراجع بقفزة

خلفية، قائلًا:

- من الواضح أنك تجيد الرياضات القتالية، على الرغم من حقارتك.

ابتسم (إدوارد) في سخرية، قالها وهو يتخذ وضعًا قتاليًا حازمًا:

- منذ شبابي، وأنا أتفوق في هذه الرياضات أيها المهرج المقنع، وعندما قضيت بضع سنوات في الولايات المتحدة الأمريكية، حرصت على مواصلة التدريب، على يد عمالقة في هذا المضمار.

ثم وثب بغتة، ليركل (العقرب) مرة أخرى في صدره، هاتفًا:

- ما رأيك في النتائج؟!

كانت الضربة من القوة، حتى أنَّها دفعت (نديم) دفعة عنيفة، جعلته يرتطم بالجدار في شدة، في نفس اللحظة التي انقض فيها المحامي عليه، متابعًا في سخرية قاسية:

- أم نترك هذا للطب الشرعي؟!

كانت قبضته تندفع نحو فك (العقرب) في قوة، إلا أن هذا الأخير خفض رأسه في سرعة، لترتطم قبضة المحامي بالجدار خلفه، قبل أن يعتدل، ويهوي بقبضته على فك المحامي، صائحًا:

- ما رأيك لو نتركه لمحاضر الشرطة.

تراجع المحامي مع عنف اللكمة، وانطلقت من حلقه صرخة غضب وألم، وهو يهتف:

- أيها المقنع الـ...

قبل أن يتم عبارته، وقع بصره على مسدسه الملقى أرضًا، فتألقت عيناه، وهو يهتف:

- أنت أيضًا أخطأت أيها (العقرب).

لمح (نديم) المسدس في اللحظة الأخيرة نفسها، وأدرك أنَّه بالفعل في متناول يد المحامي، فاندفع نحوه بكل قوته..

ولكن (إدوارد) كان الأكثر قربًا..

والأكثر خفة..

لقد استغل كل مهاراته، لينحني كقطعة من المطاط، ويلتقط مسدسه، ثم يعتدل في سرعة مدهشة، وهو يصوب فوهته نحو (العقرب)، هاتفًا:

- آه.. خسرت أيها المقنع.

وجذب إبرة المسدس، مستطردًا في صرامة قاسية:

- ها هي ذي أسطورة جديدة تنمحي من الوجود.

وعلى الرغم من أن مسدسه مزود بكاتم للصوت، فقد رددت طرقات وممرات الشركة كلها دوي الرصاصة..

الرصاصة التي أصابت هدفها..

بمنتهى الدقة..

***

«رصاصة واحدة..»

نطق كبير الجراحين العبارة، وهو يواجه اللواء (حلمي)، قبل أن يتابع في انفعال:

- لقد أصابتها في ظهرها، ونفذت من صدرها، في موضع شديد الحساسية، حتى إن قلبها قد توقف في أثناء العملية، ونحن نسعى لإيقاف النزيف الداخلي.

ثم التقط نفسًا عميقًا، ليستطرد في ارتياح:

- ولكننا نجحنا في إعادة النبض إليه، بتوفيق من الله (عز وجل)..

تنهد اللواء (حلمي)، مغمغمًا:

- حمدًا لله.. حمدًا لله.

أما عم (أحمد)، فقد أجهش ببكاء حار، وهو يقول:

- حمدًا لله.. لا بد من إبلاغ السيد (نديم).. لا بد من إبلاغه فورًا؛ حتى يطمئن قلبه.

أجابه اللواء (حلمي) في حزم:

- نحن لا نعرف أين (نديم) الآن، ولكني سأطلب من رجالنا إبلاغ العقيد (مجدي)، فهو يبحث عنه، وأظنه سيلتقي به.

شهق عم (أحمد)، هاتفًا:

- يا إلهي! العقيد (مجدي)؟!

ابتسم اللواء (حلمي)، وربت على كتفه، قائلًا:

- اطمئن.. (مجدي) لم يعد كما كان.

ظلت عينا عم (أحمد) تحملان نظرة شك قوية، في حين التفت اللواء (حلمي) إلى الجراح، يسأله في اهتمام:

- هل استعادت (غادة) وعيها؟!

هز الجراح رأسه نفيًا وهو يجيب:

- ليس بعد.. ستحتاج إلى وقت طويل قبل أن تعود إلى وعيها، فإصابتها ليست بالبسيطة.

وصمت لحظة، قبل أن يضيف:

- وأظنها لن تعود إلى العمل، قبل ستة أشهر على الأقل.

هتف عم (أحمد):

- المهم أنَّها قد بقيت على قيد الحياة.

عاد اللواء (حلمي) يبتسم، مغمغمًا:

- بالتأكيد.

ولكن ابتسامته لم تلبث أن تلاشت، وهو يتساءل في أعماقه: ترى هل عثر (مجدي) على (نديم)، قبل أن تتعقد الأمور؟!

وهل سيصل إليه في الوقت المناسب؟!

هل؟!

***

لم يكن هناك شيء، يمكن أن يحول بين (نديم) ورصاصة المحامي الداهية (إدوارد)..

أي شيء..

فالرجل يجيد التصويب، والمسافة التي تفصله عن (العقرب) محدودة، و...

ولكن فجأة، اقتحم العقيد (مجدي) المكان..

وبمنتهى العنف..

مع صرخة الاحتجاج، التي أطلقتها السكرتيرة (نسرين)، استدار (إدوارد) بحركة غريزية نحو القادم الجديد..

واستدارت معه فوهة مسدسه..

وكمحترف، لم يضع (مجدي) ثانية واحدة..

وأطلق النار..

ودوت رصاصة مسدسه في الشركة كلها، وامتزجت بصرخة الرعب، التي أطلقتها السكرتيرة، وبصوت ارتطام الرصاصة بمسدس (إدوارد)، لتطيح به بعيدًا..

وانطلقت شهقة ألم مذعورة، من حلق المحامي..

وقبل حتى أن تكتمل، كان (العقرب) يثب نحوه، ويهوي على فكه وأنفه بلكمتين سريعتين، هاتفًا:

- انحسمت اللعبة أيها الحقير.

تراجع جسد المحامي في عنف، وارتطم مع تراجعه بجثة (رشاد)، فاختل توازنه، وسقط أرضًا، ليتلقى فكه ركلة أكثر عنفًا، من قدم (نديم)، الذي أضاف:

- لصالح (العقرب).

انعقد حاجبا (مجدي)، دون أن ينبس ببنت شفة، في حين أطلقت السكرتيرة صرخة رعب أخرى، وهي تحدق في جثة (رشاد)، وبركة الدم التي تحيط بها، فقال لها (نديم) في صرامة:

- أبلغي الشرطة.. أسرعي.

أدارت عينيها المتسعتين إلى (مجدي)، الذي لوح بمسدسه، قائلًا:

- افعلي ما أمرك به.

تراجعت السكرتيرة في سرعة، وهي تغلق باب حجرة المكتب خلفها، وأسرعت تنفذ ما أمروها به في حين انحنى (نديم)، يلتقط الأسطوانات المدمجة الثلاث، من جيب (إدوارد)، ثم ناول (مجدي) إياها قائلًا:

- بهذه، ستجد لديك قضية متكاملة، من قضايا غسيل الأموال القذرة، بالإضافة إلى جريمة قتل، ضحيتها (رشاد

السلباوي)، ومجرمها المحامي (إدوارد).

أعاد (مجدي) مسدسه إلى غمده، والتقط الأسطوانات في حرص، فتابع (نديم)، وهو يشد قامته أمامه، في زي (العقرب):

- وربما كانت هناك قضية ثالثة أيضًا.

أدرك (مجدي) ما يعنيه على الفور، فأومأ برأسه إيجابًا، وغمغم:

- القانون هو القانون.

التقط (نديم) نفسًا عميقًا، وقال:

- بالتأكيد.. أعلم أن هذا هو مبدؤك دومًا.

ثم أشار إلى قناعه، الملقى على مقربة من (مجدي)، مضيفًا:

- وها هي ذي الحقيقة أمامك، بعد أن انكشف عنها القناع، والشك داخلك تحول إلى يقين.

عض (مجدي) شفتيه، وهو يكرر:

- القانون هو القانون.. إنَّه الحماية المثلى للأبرياء.

أدار عينيه إلى جثة (رشاد)، والمحامي الملقى فوقها، قبل أن يضيف في مقت واضح:

- أما المجرمون، فيحتاجون إلى قانون خاص.

وفي بطءٍ، انحنى يلتقط قناع (نديم)، ثم ناوله إياه، مضيفًا:

- ومكافح للجريمة من طراز خاص.

ارتفع حاجبا (نديم) في دهشة، فابتسم (مجدي) ابتسامة متوترة، وهو يكمل:

- وربما تتحقق العدالة بحق، لو امتزج هذا بذاك.

التقط (نديم) قناعه، ودسه في جيبه، قائلًا بابتسامة هادئة:

- نعم.. ربما.

صمت الاثنان بضع لحظات، وكلاهما يتطلع إلى عيني الآخر مباشرة، قبل أن يلوح (مجدي) بيده، قائلًا:

- هيا.. انصرف أنت، واذهب للاطمئنان على زميلتك، وسأنتظر أنا قدوم الزملاء، من رجال الشرطة.

صافحه (نديم) في صمت، قبل أن يبتسم، قائلًا:

- أعتقد أن عودتك إلى هنا لم تكن رسمية؛ لذا فهناك إجراء بسيط، يعفيك من المسئولية تمامًا.

ابتسم (مجدي)، قائلًا:

- بطاقتك.

أجابه (نديم) بابتسامة مماثلة:

- بالضبط.

بعد كلمته باثنتي عشرة دقيقة فحسب، وصل رجال الشرطة إلى مبنى شركة (السلباوي)، وإلى حجرة مكتب هذا الأخير، ليجدوا أمامهم جثة هامدة، وفوقه سقط المحامي (إدوارد) فاقد الوعي، وعلى صدره بطاقة بيضاء صغيرة، تحمل رمزًا يعرفونه جيدًا..

رمز (العقرب)..

ولكن أحدًا منهم - باستثناء العقيد (مجدي) - لم يتصور قط أن هذه المهمة، كانت تختلف تمامًا عن كل مهمة سابقة له..

فقد كانت أول مهمة رسمية..

بحق..

***

(تمَّت بحمد الله)